

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الصادق الأمين، وعلى آله وصحابته أجمعين وبعد : فهذا كتاب الدراسات الأدبية للصف الثالث بالمعاهدِ التَّخَصُّصِيَّةِ للدِّراساتِ الإسلاميةِ نقدمه في طبعته الجديدة المعدلة آملين أن يكون ثقافة أدبية مشوقة تحقق الفائدة و المنفعة للمتعلم وهو يتناول بالدراسة الميسرة والعرض الدقيق الأدب العربي في العصرين : العبّاسي والأندلسي - تاريخاً ونصوصاً وأعلاماً وقضايا أدبية متنوعة– ثم ألحقنا به علمَ المعاني .

ونحن إذ نقدم بين أيدي أبنائنا الطلاب هذا الكتاب في طبعته المعدلة الجديدة نرجو أن يكون محققاً لما أريد به من تبصر الطالب بوجدان الأمة، وتربية ملكة البيان والتذوق الأدبي، وتعزيز القيم العربية والاسلامية لديهم.

أخيراً نسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب ناشئة الإسلام ليعيدوا بالعزائم المؤمنة سيرة سلف الأمة، وأمجاد الغرّ الميامين ، أنه سميع مجيب الدعاء



الوحدة الأولى

- مقدمة
- التمهيد: الحياة السياسية، الحياة العملية
- أولاً: الشعر في العصر العباسي
- ثانياً: النثر في العصر العباسي

الوحدة الأولى

العصر العباسي

التمهيد

قامت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية نتيجة الثورات المتواصلة التي أدت إلى ضعفها وسقوط آخر خلفاء بني أمية في شمال العراق عام 132هـ ، وينتسب العباسيون إلى جدهم العباس بن عبد المطلب عم النبي – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

وقد عاشت الدولة العباسية ما يزيد على خمسة قرون، فقد قامت سنة 132هـ وانتهت عندما قضى عليها المغول حين سقطت بغداد عاصمة الخلافة سنة 656هـ.

الحياة السياسية:

برزت في الجانب السياسي في هذا العصر بعض الأحداث ومنها :

1 – صارت بغداد عاصمة الدولة العباسية بدلاً من دمشق، وازدهرت الحياة فيها، وصار يؤمها الناس من كل مكان .

2 – غلب الطابع الفارسي على الدولة العباسية على النقيض مما كان في الدولة الأموية إذ كان طابع الخلافة الأموية عربياً خالصاً . وقد أخذ العباسيون عن الفرس نظام الوزارة، وقلدوهم في كثير من أنظمة الحكم حتى في الزي والملبس، كما ظهر ذلك في أزياء رجال الحاشية والقضاة والموظفين وغيرهم .

3 _تميز العصر العباسي_وخاصة في النصف الثاني منه_بالتفكك والانقسام وتعدد الدول كالدولة الحمدانية في الشام، والفاطمية في مصر، والبويهية في العراق، والسامانية في فارس .

4 _ ظهر في هذا العصر عدة ثورات وفتن كفتنة القرامطة التي قتل فيها خلق كثير، فجرد الخلفاء ضدهم الحملات القمعية وحاربوهم بالسيف واللسان والقلم، حتى أظهروا فساد معتقداتهم .

الحياة الثقافية :

١ _أخذت اللغة العربية نصيباً من اهتمام العلماء ؛ لكونها لغة الوحيين ويتوقف فهم القرآن و السنة على الإلمام بها .

وقد عني علماء، اللغة في البصرة والكوفة بجمع ألفاظ اللغة وأشعار العرب في الجاهلية والإسلام؛ لحاجة الشعوب المسلمة غير العربية إلى إتقان لغة الدين، وليقاوموا ظاهرة شيوع اللحن على ألسنة المستعربين، ولم يكن العلماء أقل اهتماما بعلم النحو من علوم اللغة الأخرى وقد برز فيه الخليل بن أحمد ، الذي وضع أسسه، ثم أخذه عنه تلميذه سيبويه الذي أَلَّف فيه كتابه (الكتاب) وهو من أعظم سمات رقي العقل العربي .

2 _ وعلى الرغم من أن الدولة العباسية قد أخذت في الضعف بالتدريج إلا أن الحياة الثقافية والأدبية قد نشطت نشاطاً كبيراً فما زال المعلمون يؤدون دورهم والمساجد تزخر بطلاب العلم، وقد خصصت الدولة رواتب للمعلمين حسب المكانة العلمية لكل واحد منهم، فهذا الزجاج تلميذ المبرد يجعل له الخليفة المعتضد راتباً في الفقهاء ، وراتباً في العلماء،، وراتباً في الندماء، فبلغ راتبه من الدولة ثلاث مئة دينار شهرياً.



الشعر في العصر العباسي

ازدهر الشعر وبلغ أوج عظمته في العصر العباسي، وبخاصة في النصف الأول منه فقد كان الخلفاء والوزراء يشجعون الشعراء ويمنحونهم العطايا والهبات، وكان لاختلاط العرب بالأمم الأخرى، ونقل ثقافاتهم إلى العربية دور كبير في دخول أساليب جديدة في الشعر العربي .

أهم أغراض الشعر في العصر العباسي

ظل العباسيون ينظمون في الأغراض القديمة التي كان ينظم فيها الجاهليون والإسلاميون، ومع التقدم العقلي الخصب، والذوق المتحضر المرهف ، سار التجديد في الشعر العباسي .

وأبرز الأغراض التي جدد فيها العباسيون :

المدح :

كان الشاعر الجاهلي والإسلامي يرسم في ممدوحه المثالية الخلقية الرفيعة التي تقدرها الجماعة، وقد مضى الشعراء العباسيون في مديح الخلفاء والولاة على هذا الرسم مضيفين إلى هذه المثالية مثالية الحكم، وما ينبغي أن يقوم عليه من الأخذ بالشريعة وتقوى الله والعدالة، يقول أبو العتاهية في الخليفة هارون الرشيد:

وراعٍ يُراعي اللهَ في حفظِ أمةٍ   يــدافعُ عنهــا الشــرَّ غــير رَقُــودِ

تجافى عن الدنيا و أيقنَ أنها   مفارقــةٌ ليســت بــدار خلــود

وربما غلا الشاعر المادح ذلك الغلو غير المقبول، الذي لا تجده في القديم، وبالصورة التي يقول فيها أبو نواس:

وأخفت أهل الشرك حتى أنه   لتخافــك النطــف التــي لم تخلــق

ولم يقتصر المديح على الرجال بل تعدّاه إلى مدح المدن الحبيبة إلى قلوب ساكنيها وهو فن ازدهر في الأندلس أيضاً . يقول عمارة بن عقيل في مدح بغداد :

أعاينَت في طول من الأرض أو عرض   كبغداد داراً إنها جنة الأرض

صفا العيش في بغداد و أخضر عودُهُ   و عيشُ سواها غير صاف و لا غض

الهجاء :

لقد حاول الشعراء العباسيون أن يجددوا في غرض تقليدي آخر، وهو الهجاء ويمكن تمييز لونين منه : هجاء، سياسي، وهجاء شخصي. وقد امتاز اللونان معا بالسخرية الشديدة و الإيذاء المؤلم، كما امتاز الهجاء، بأنه أقبح شعر مقطوعات قصيرة وليست قصائد مطولة كالتي يتطلبها المديح أو كما كان الهجاء، في العصور القديمة، ولم يعد الهجاء القبلي، كما رأينا في شعر النقائض في العصر الأموي أساسا الموضوع الهجاء، بل مال إلى الشعبية والهزل وقد شاع الهجاء السياسي في الخلاف الذي وقع بين الخليفتين الأمين والمأمون وانتهى بقتل أولهما، يقول أحد الشعراء من أبيات له في هجاء الأمين :

لم تكن تعرفُ ما حدُّ الرضا   لا و لا تعرف ما حد الغضب

لم تكن تصلح للملك ولم   تعطك الطاعة بالملك العرب

ومن الهجاء ، الساخر يقول أبو تمام في وصف بخيل :

قد كان يعجبني أن لو غيرته   على جراذقه [1] كانت على حرمه

إن رمتَ قتلته فافتك بخبزته   فإن موقعها من لحمه ودمه

[1] جراذقه: جمع جرذق وهو الرغيف.

وقد ظهر من هذا الهجاء الساخر لون يعتمد على توليد المعاني واستقصائها، مثال ذلك قول بشار في رجل ثقيل يسمى أبا سفيان :

ربـما يثقـل الجلـيس وإن كـا ... ن خفيفـا في كفَّـة الميـزان

كيـف لا تحمـل الأمانـة أرضُ ... حملـت فوقهـا أبـا سـفيان

الرثاء:

إذا كانت الدوافع الدينية أو الإنسانية الصادقة هي التي تحفز الشعراء على الرثاء، فإنهم في هذا العصر أخذوا يرثون لدوافع أخرى كالفكاهة مثلاً. ولا شك أن إخراج الرثاء مخرج الفكاهة يعد شيئاً جديدا في الشعر العباسي، فهذا الحمدوني يرثي طيلسان بن حرب الذي أهداه إليه ابن حرب فيقول:

دعنـي أبكـي كسـوتي إذ ودعـت ... فلأزمعـن عـلى البكـاء إذا أزمعـت

فيهـا مـن التمزيـق مـا لـو أنـه ... مـرت بهـا ريـح الصـبا لتقشـعت

يحكـي تخـرق طيلسـاني إنهـا ... منـه تعلمـت الـبلى فتضعضـعت

وإذا كان الشعراء مدحوا المدن وهجوها فقد رثوها أيضاً، وكانت نكبة بغداد أيام الفتنة بين الأمين والمأمون هي الحادثة التي أثارت خيال الشعراء وحركت عواطفهم فقد احترقت قصورها، وحرقت حدائقها، وخربت طرقها، وقتل أهلها وهجرت مساجدها إلى أن تولى المأمون الخلافة وبدأ في إعادة الحياة اليها، وتبعه في ذلك الخلفاء من بعده، يقول عبد الملك الوراق، راثياً مدينته :

مـن ذا أصـابك يـا بغـدادُ بـالعين ... ألم تكـوني زمانـاً قـرة العـين

ألم يكـن فيـك قـوم كـان مسـكنهم ... و كـان قـربهم زيـن مـن الـزين

صـاح الغـراب بهـم بـالبين فـافترقوا ... مـاذا لقيـت بهـم مـن لوعـة البـين

الوصف:

لقد شغل الوصف في الأدب الجاهلي والإسلامي معظم قصائد الشعراء في تصويرهم لمظاهر الطبيعة حية وجامدة غير أن الشعراء العباسيين اهتموا بتصوير الجانب المادي من الحضارة الجديدة.

يقول علي بن الجهم يصف قصراً من قصور المتوكل في سامراء به نافورة :

وقبــــة ملـــــك كـــأن النجــــو   م تصـــغي إليهــا بأسرارهـــا

وفـــــوارة ثأرهـــــا في الســـماء   فليســـت تقـــصر عـــن ثارهـــا

تـــرد عـــلى المـــزن مـــا أنزلـــت   إلى الأرض مـــن صـــوب مـــدرارها

ويقول إبراهيم بن المهدي في وصف زهر النرجس :

ثـــلاث عيـــون مـــن النـــرجس   عـــلى قـــائم أخـــضر أملـــس

يـــذكرنني طيـــب ريـــا الحبيـــ   ب فيمنعننـــي لـــذة المجلـــس

لقد تعددت الموضوعات الوصفية، فشملت جميع الحياة عند العباسيين، حتى إننا نرى الشعراء يسجلون الحياة داخل البيوت والقصور، وما فيها من وسائل اللهو والتسلية، بل إنهم يصفون وسائل الثقافة في عصرهم و أدواتها فيصفون الكتب والخطوط و الأقلام؛ يقول كلثوم بن عمرو العتابي في وصف الكتب:

لنـا نـدماء لا نمـل حـديثهم   أمينـون مـأمونون غيبـاً و مشـهدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى   ورأيـا و تأديبـا و أمـراً مسـددا

بـلا علـة تخشـى ولا خـوف ريبـة   ولا نتقـي مـنهم بنانـاً و لا يـدا

فإن قلـت هـم أحيـاء لسـت بكـاذب   وإن قلـت هـم مـوتى فلسـت مفنـدا

الزهد:

لقي شعر الزهد في العصر العباسي اهتماماً كبيراً وشغف الناس بقراءة قصائده وإنشادها وكانت محاولات التجديد فيه أكثر شمولاً و تأثيراً .

لم يعد الزهد كما كان في العصر الإ سلامي والعصر الأموي مجرد ميل فطري إلى الزهادة وتقوى الله، أو حالة من حالات الإيمان يصورها الشاعر، بل أصبح فكرة يعتنقها، وتتغلل في نفسه وقلبه ويتلبس بها شعره، ولا يكاد يصور سواها من المشاعر والأحاسيس أو من الصور التي يقع عليها بصره .

ولم تكن دوافع الزهد في هذا العصر دوافع دينية فحسب، حقيقة كان الدافع الديني أساساً فيها ولكن إلى جانب ذلك أصبح يمثل حركة مضادة لبعض مظاهر المجون والزندقة، التي شاعت في هذا العصر، لقد تحولت حركة الوعظ التي نشطت في مساجد الكوفة والبصرة وبغداد إلى زهد حقيقي ملأ قلوب الناس وأبعد هم عن تيارات الانحراف، وعرفت عشرات الأسماء التي اشتهرت بزهدها و علمها من أمثال : الفضيل بن عياض ومحمد بن سيرين، وسفيان الثوري ، ويحيى بن معاذ، لذلك لم يكن غريبا أن يظهر مجموعة من الشعراء طغت على شعرهم عواطف الزهد وأفكاره. يقول، أبو العتاهية :

دعني من ذكر أب وجد ... ونسب يعليك سبل المجد

ما الفخر إلا في التقى والزهد ... وطاعة تعطي جنان الخلد

و يقول أيضاً :

فلا تعشق الدنيا أخي فإنما ... يرى عاشق الدنيا بجهد بلاء

حلاوتها ممزوجة بمرارة ... و راحتها ممزوجة بعناء

تعدد اتجاهات الشعراء:

لقد تمثل الشعراء، في هذا العصر العربية وأسرارها التركيبية أقوى تمثل وأروعه، غير أن الجديد في هذه الفترة هو تعدد اتجاهات الشعراء، وتنوعها، ضمن الإطار العام للتيار الجديد، حيث أصبح لبعض الشعراء نهجه الخاص الذي يترسمه ويسير عليه، إذا كان البحتري يمثل رابطة بين هذه الفترة وسابقتها، فإن ابن الرومي، وابن المعتز، والصنوبوي، والمتنبي وغيرهم يمثلون اتجاهات الشعراء في هذه الفترة إلى أواخر القرن الخامس.

ابن الرومي و الاتجاه العقلي:

يعد ابن الرومي آخر من يمثل القرن الثالث الهجري (توفي سنة 283ه) ، وقد كان هو وأبو تمام علامة تشير إلى الطريق الذي سوف يسلكه الشعر في القرنين الرابع والخامس عند المتنبي وغيره حيث تمثل الشعراء جميع الثقافات في عصرهم فلسفية وغير فلسفية، ثم يظهر تأثير ذلك في قصائدهم شكلا ومحتوى، إذ نجد ابن الرومي يستقصي المعاني استقصاء عجيباً، حتى أنه يكاد لا يترك في معنى شعبة دون عرضها والإلمام بها، وهو يوغل في كل الأفكار ويستنبط منها مستوراتها الخفية ، ويعللها بعلله العقلية .

لهذا استطاع أن يغير في سمات كل موضوع قديم بفضل ما ألقى عليه من الأضواء والظلال العقلية، ولننظر إلى تلك الصورة التي يمدح بها، فيقول عن ممدوحه :

أوفى بأعلى رتبة وتواضعت ... آلاؤه فأحطن بالأعناق

كشمس في كبد السماء محلها ... و شعاعها في سائر الآفاق

ابن المعتز و الاتجاه البديعي :

لم يكن ابن الرومي يمثل الاتجاه الفني الوحيد في هذه الفترة بل لقد عاصره شاعر آخر خرج عن نهجه في التأثر بثقافات العصر ، وفي تعميق صوره ودلالاتها، وهو عبد الله بن المعتز (توفي سنة 296 هـ) الذي استمر على نهج مشابه لنهج البحتري، وإن كان قد أكثر من التشبيهات

والفنون البديعية الأخرى، التي أصبحت هدفا لذاتها. ومن بديع صوره قوله في وصف الهلال :

انظـــر إلى حســـن الهـــلال بـــدا   يهتـــك مـــن أنـــواره الحندســـا

كمنجـــل قـــد صـــيغ مـــن فضـــة   يحصـــد مـــن زهـــر الـــدجى نرجســـا

و قال أيضاً :

انظـــر إليـــه كـــزورق مـــن فضـــة   قـــد أثقلتـــه حمولـــة مـــن عنـــبر

الصنوبري و تصوير الطبيعة :

يعد الصنوبري أحمد بن محمد الضبي(توفي سنة 334هـ) امتداداً لنهج البحتري ، ثم ابن المعتز، إلا أنه تميز بالإكثار من وصف مظاهر الطبيعة الجميلة • بحدائقها وزهورها، وسمائها ونسيمها ... وكان مثلهما يعتمد في صياغته على التشبيهات والصور ، دون تعقيد أو التواء ، يقول :

ورد بـــدا يحكـــي الخـــدود و نـــرجس   يحكـــي العيـــون إذا رأت أحبابهـــا

والسر تحسبه العيون غوانيا   قـــد شـــمرت عـــن ســـوقها أثوابهـــا

وكـــأن إحـــداهن مـــن نفـــح الصـــبا   خـــود تلاعـــب موهنـــا أترابهـــا

وقد أعجب الأندلسيون بشعر الصنوبري ودرسوه، فقد كانت طبيعة الأندلس ملهما لكثير من شعراء هذا الإقليم الإسلامي، بل لقد تأثروا به وهو يصف مظاهر الحضارة بخيال خصب، وقريحة مبدعة ...

المتنبي و التعبير عن الذات :

يعد أبو الطيب المتنبي (توفي سنة 754هـ) أبرز الشعراء العباسي، و من أكبر شعراء العربية، و قد ذاع شعره في الآفاق لما فيه من الحكمة والتجارب ، مع قدرة عجيبة على التعبير حتى لقد قيل عنوانه أنه ((ملأ الدنيا وشغل الناس)) .

والمتنبي من شعراء المعاني ، ولقد حظي في شعره بالحكم و الأمثال ، واختص بالإبدع في وصف القتال، غير أن أخص ما يميز المتنبي هو بروز شخصيته في شعره و اعتداده بنفسه، ولكي يتضح ذلك جلياً نقرأ قوله مفتخراً بنفسه :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي   وأسمعت كلماتي من به صمم

الخيل والليل والبيداء تعرفني   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

إن (التعبير عن الذات) عند المتنبي يسبق التعبير عن (غيره) حتى في شعر المدح، فنحن لا نكاد نجد قصيدة في ديوانه استطاع فيها أن ينسى نفسه أو أن يلغي شخصيته، لذلك كانت تلك الحقيقة من الأسباب التي أكسبت شعره هذا التعبير وحرارة الإحساس، والأمثلة كثيرة، من بينها تلك القصيدة التي مدح بها سيف الدولة الحمداني عندما صور إحدى وقائعه مع الروم والتي يقول في مطلعها :

غيري بأكثر هذا الناس ينخدعُ   إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

أهل الحفيظة إلا أن تجربهم   وفي التجارب بعد الغي ما يزع

وما الحياة ونفسي- بعد ما علمت   أن الحياة كما لا تشتهي طبع

فمنذ البداية يحس أنه إذا خدعت المظاهر غيره فإنه لا ينخدع بها، وكان سيف الدولة قد انهزم في تلك الموقعة، وأراد المتنبي أن يؤكد أن تلك الهزيمة ليست دلالة على الضعف ، وإنما هي هزيمة عابرة، وهو يقدم لهذا المعنى من خلال رؤيته الخاصة، وليس من خلال رؤية ممدوحه، وكأنه يحس أنه وممدوحه شخص واحد .



المناقشة

س1 : كيف جدد الشعراء العباسيون في شعر المدح ؟

س2 : ما مظاهر التجديد في الهجاء والرثاء في العصر العباسي ؟ هات بعض الشواهد .

س3 - لنا ندماء لا نمل حديثهم أمينـون مـأمونون غيبـاً ومشـهداً

أ_ عما يتحدث الشاعر ؟

ب_ من أي أغراض الشعر هذا البيت ؟ و ما التجديد الذي أحدثه العباسيون فيه ؟

س4 : ما النهج الذي سلكه كل من ابن المعتز والصنوبري وبم تميز الأخير ؟ أورد له مثالاً واذكر رأيك فيه .

س5 : يعد المتنبي من أكبر شعراء، العربية، اذكر ما تعرفه عن شعره، والجديد الذي أضافه إلى الشعر العباسي.



نماذج من الشعر في العصر العباسي

1 - بشار بن برد يصف جيشاً :

التعريف بالشاعر :

هو بشار بن برد بن يرجوج، فارسي الأصل، ولد عام 91 هـ ، و نشأ في بني عقيل نشأة عربية خالصة، فاستوى لسانه على الكلام الفصيح.

قال بشار الشعر في سن مبكرة، فما كاد يبلغ العاشرة حتى تفجرت موهبة الشعر عنده، ونزعت نفسه إلى قول الهجاء ؛ لأن بيئته الاجتماعية كانت تضطرم بهذا النوع من الشعر ولم يتوان عن التعرض لكبار الشعراء كجرير الذي استصغره ولم يرد عليه .

وبشار شاعر مخضرم، أدرك بني أمية وبني العباس، وكان لعوباً بالمعاني والألفاظ، أتقن جميع أبواب الشعر غزير المادة، لا يتكلف النظم فهو من الشعراء المطبوعين .

أجمع الرواة على أن بشاراً مات مقتولاً سنة 168هـ بأمر من الخليفة المهدي حيث رماه بالزندقة.

القصيدة :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً	صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك، فأنه	مقارف ذنبٍ مرة ومجانبه-1
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى	ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه-2
إذا الملك الجبار صعر خده	مشينا إليه بالسيوف نعاتبه-3
جيش كجنح الليل يزحف بالحصى	وبالشوك، والخطي حمر ثعالبه-4

غدونا لـه والشـمس في خـدر أمهـا	تطالعنـا والطـل لم يجـر ذائبـه-5
بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه	وتدرك من نجى الفرار مثالبـه-6
كـأن مثـار النقـع فـوق رؤوسـنا	وأسيافنا ليـل تهـاوى كـواكبـه-7
بعثنـا لهـم مـوت الفجـأة، إننـا	بنو الملـك خفـاق علينـا سـبائبه-8
فراحوا فريقاً في الأسـار، ومثلـه	قتيل ومثل لاذ بـالبحر هاربـه-9
وأرعن يغشى الشمس لون حديده	وتخلس أبصـار الكـماة كتائبـه-10
تغص به الأرض الفضـاء أذا غـدا	تزاحم أركان الجبال مناكبـه-11

معاني المفردات

1-مقارف: مرتكب.

2- القذى: غبار يصيب العين والمراد هنا ما يعكر صفو الماء.

3-صعر خده: مال به عنا.

4-يزحف بالحصى: العدد الكبير، الخطي: الرمح، الثعالب.

5-في خدر أمها: أي في خبائها أي قبل شروقه.

6-مثالبه: معايبه.

7-المثار: بقايا الأثر.

8-سبائبه: الرايات.

9-الإسار: الأسر.

10-الأرعن: الجيش الكثير. الكماة: الأبطال الشجعان.

11-مناكبه: جوانبه.

الشرح

يبدأ بشار هذه الأبيات في وصف أحد الجيوش الذاهبة لساحة القتال بذكر بعض الحكم ، التي تنبى عن تجربة الشاعر في هذه الحياة فيقول : إنك لن تجد شخصا خالياً من العيوب في الحياة؟ وما دام الأمر كذلك، فإنك يجب أن تتقبل رفيقك على ما فيه من عيوب، وعليك أن تصل أخاك فهو يحسن مره ويسيء أخرى، ثم إن الحياة لن تصفو لأحد فهي تارة حلوة وتارة مرة .

وبعد ذلك بدأ يذكر بداية المعركة، وأنه هو وقومه لا يعاتبون الملك الجبار الظالم بالكلام، بحد السيوف و بالحرب. ثم أخذ يصف الجيش الجرار كثير العدد، شاكي السلاح مشرعا للرماح.

ثم يقول : بهذا الجيش خرجنا للقاء، الأعداء مبكرين قبل طلوع الشمس، والطل لم يذب بعد من على ورق الأشجار، وقد لاقينا الأعداء بقوة عارمة تسحقهم سحقا، ومن فر منهم أدركه العار والخزي .

ثم يصف الشاعر في البيت الثامن احتدام المعركة فظلام المعركة والسيوف تتلامع من خلاله، أشبه ما يكون بالليل المظلم والكواكب تتهاوى متساقطة خلاله، والغريب في الأمر أن بشارا أعمى ولكن موهبته هدته إلى هذا الوصف الجميل.

وأخيراً يأخذه الزهو بالنصر فيعود إلى وصف الجيش، فيذكر أن ما مع الجيش من الحديد والسلاح يغطي الشمس لكثرته، ويلمع في أشعة تختلس أبصار الشجعان وتسلبها ولكثرة عاد ذلك الجيش الذي ملأ الأفق ضاقت الأرض على استيعابه فراح يزاحم الجبال بجوانبه ونواحيه . وعلى العموم فهذه القصيدة من أروع ما قيل في الوصف، لما تمتاز به من وضوح المعاني، وروعة التصوير وسلاسة العبارات .

❁❁❁❁❁❁

المناقشة

س1 : ما البيت الذي يشير إلى أنه لا يوجد بشر خال من العيوب ؟

س2 : الدنيا لا تصفو لأحد كيف صور الشاعر هذه الفكرة ؟

س3 : يشير أحد الأبيات إلى أن جيش قوم بشار كثير العدد والعدة فما هذا البيت ؟

س4 : هل ألفاظ القصيدة مناسبة للغرض ؟ مثل لما تقول.



2_ أبو العتاهية في الزهد

التعريف بالشاعر :

أبو العتاهية هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ولد سنة 170هـ ، كان أبوه من الموالي ، وكان أبو العتاهية دميم الوجه، قبيح المنظر، نزعت به نفسه إلى اللهو والمجون في أول حياته، ثم أخذ يتحول عن حياة اللهو والمجون إلى حياة الزهد والتقشف، وأهم موضوعاته الشعرية الزهد والمديح، وقد ابتعد أسلوبه عن الغرابة والتعقيد، ، توفي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في بغد اد سنة 210 هـ..

القصيدة :

إذا ما خَلَوتَ الدَهرَ[1] يَوماً فَلا تَقُل ... خَلَوتُ وَلَكِن قُل عَلَيَّ رَقيبُ

وَلا تَحسَبَنَّ اللهَ يُغفِلُ ما مَضى ... وَلا أَنَّ ما يَخفى عَلَيهِ يَغيبُ

لَهَونا[2] لَعَمرُ اللهَ حَتّى تَتابَعَت ... ذُنوبٌ عَلى آثارِهِنَّ ذُنوبُ

فَيا لَيتَ أَنَّ اللهَ يَغفِرُ ما مَضى ... وَيَأذَنُ[3] في تَوباتِنا فَنَتوبُ

إِذا ما مَضى القَرنُ[4] الَّذي كُنتَ فيهِم ... وَخُلِّفتَ في قَرنٍ فَأَنتَ غَريبُ

وَإِنَّ امرَأً قَد سارَ خَمسينَ حِجَّةً[5] ... إِلى مَنهَلٍ مِن وِردِهِ لَقَريبُ

نَسيبُكَ مَن ناجاكَ[6] بِالوِدِّ قَلبُهُ ... وَلَيسَ لِمَن تَحتَ التُرابِ نَسيبُ

فَأَحسِن جَزاءً ما اجتَهَدتَ فَإِنَّما ... بِقَرضِكَ[7] تُجزى وَالقُروضُ ضُروبُ

معاني المفردات :

1 خلوت الدهر : ابتعدت عن عيون الناس .

2 لهونا : أي انصرفنا إلى اللهو.

3 يأذن : يغفر زلاتنا وذنوبنا.

4 القرن : الأمة تأتي بعد الأمة، وقيل القرن من الناس : أهل زمان واحدٍ.

5 حجة : أي سنة .

6 ناجاك : سارّك وأخلص لك النصح في السرّ وهي من المناجاة.

7 قرضِك : ما يقدم من عمل يلتمس به الجزاء وأصلها من اقتراض المال .

الشرح :

هذا نموذج لشعر أبي العتاهية في الزهد ، وقد أراد أبو العتاهية أن يذكر بأن الله لا يخفى عليه عمل من أعمال عباده ، فلا يتصور إنسان أنه حين يخلو لنفسه قد بعد عيون الناس ورقابتهم، فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هو الرقيب الأعظم لا تخفى عليه خافية .

وإذا ارتكب الإنسان ذنبا، فرحمة الله واسعة ومغفرته قريبة، إذا ما توجه بالتوبة إلى خالقه وهو يعيش غريبا إن لم يعش في زمنه، ومن يبعد عن رحمة ربه ضاعت نفسه وضل طريقه، فعليه أن يسير في طريق الخير والتوبة، لينال مأربه من غفرانه ونعيمه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ويقول أبو العتاهية : إن قريبك هو الذي يخلص لك النصح ويحضك على الصلاح، والأخذ بشعائر الدين، وليست القربى هي قربى الدم وليس النسب هو المصاهرة، ومن أقرض قرضاً حسناً وعمل عملاً صالحاً، وعبد عبادة مخلصة لقي جزاءه، في جنة الله وفي رحمته.

❁❁❁❁❁❁

المناقشة

س1 : متى نظم أبو العتاهية هذه القصيدة ؟ أوضح رأيك فيها.

س2 : في البيت السادس صورة شعرية وضحها ؟

س3 : الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، في أي الأبيات يوجد هذا المعنى ؟

س4 : من القريب في نظر الشاعر ؟ وما البيت الذي دل عليه ؟

س5 : اشرح البيت الأخير بأسلوبك الأدبي ؟



3_أبو تمام يمدح المعتصم و يصف وقعة عمورية

التعريف بالشاعر :

هو حبيب بن أوس الطائي، ولِد بقرية (جاسم) بالقرب من دمشق سنة 192هـ نشأ بدمشق وأخذ يتردد منذ نعومة أظفاره على حلقات المسجد ومجالس العلم والأدب ينهل مما كان يجري فيها، وسرعان ما تدفقت شاعريته فبدأ يتجه بشعره إلى المدح.

رحل إلى مصر وهو شاب يتوقد ذكاء فجالس بعض الأدباء وأخذ منهم الثقافة والأدب، ولم يطل به المقام في مصر حيث قفل راجعاً إلى دمشق، فاتصل بالخليفة المأمون وأشاد بانتصاراته على الروم، ثم أخذ يتردد على عدد من البلدان كخراسان حيث مدح واليها عبد الله بن طاهر. وأخيرا عاد إلى العراق وأخذ يتغنى بانتصارات المسلمين وفتوحاتهم أيام المعتصم بالله .

ويعد أبو تمام من أبرز شعراء العصر العباسي، وكان من خصائص شعره : التعمق في المعاني والغوص على الأفكار الدقيقة، والميل إلى المحسنات البديعية، والغموض الغني بسبب تعقد الصور وتوليد المعاني، توفي أبو تمام سنة 1 23 هـ_ ورثاه كثير من الشعراء، في مقدمتهم الحسن بن وهب ...

القصيدة :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ ... فِي حَدهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِد واللَّعِبِ
بيضُ الصَّفَائِحِ لاَ سُودُ الصَّحَائِفِ[1] فِي ... مُتُونِهِنَّ جلاءُ الشَّك والريَبِ
والعِلْمُ فِي شُهُبِ الأَرْمَاحِ[2] ... بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ[3] لا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ[4]
لو بيَّنت قطّ أَمراً قبْل مَوْقِعِه ... لم تُخْفِ ماحلَّ بالأوثانِ والصُّلُبِ
فَتْحُ الفُتوحِ تَعَالَى أَنْ يُحيطَ بِهِ ... نَظْمٌ مِن الشعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ
فَتْحٌ تفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ ... وتَبْرزُ الأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا القُشُبِ[5]
يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّوريَّةَ انْصَرَفَتْ ... مِنْكَ المُنَى حُفَّلاً[6] مَعْسُولَةَ الحَلَبِ

أبقيْتَ جِدَّ بَنِي الإِسلامِ فِي صَعَدٍ والمُشْرِكينَ ودَارَ الشرْكِ فِي صَبَبِ

لَقَدْ تَرَكتَ أَميرَ المُؤْمنينَ بِها لِلنَّارِ يَوْماً ذَليلَ الصَّخْرِ والخَشَبِ

غَادَرْتَ فيها بَهِيمَ اللَّيْلِ(7) وَهْوَ ضُحًى يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ

حَتَّى كَأَنَّ جَلاَبيبَ الدُّجَى(8) رَغِبَتْ عَنْ لَوْنِهَا وكَأَنَّ الشَّمْسَ لَم تَغِبِ

ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ والظَّلْمَاءُ عاكِفَةٌ وَظُلْمَةٌ مِنَ دُخَانٍ فِي ضُحىً شَحبِ(9)

تَدْبيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللهِ مُنْتَقِمٍ للهِ مُرْتَقِبٍ فِي اللهِ مُرْتَغِبِ

معاني المفرادات :

1 الصفائح : جمع صفيحة، وهي الحديدة العريضة ويقال للسيف العريض صفيحة، والصحائف جمع صحيفة وهي الكتاب.

2 شهب الأرماح : أسنتها.

3 الخميسان : الجيشان .

4 السبعة الشهب : الطوالع التي أرفعها زحل وأدناها القمر وبعضها الشمس.

5 القشب : الجدد .

6 حفّلاً: جمع حافل وهي التي حفل ضرعها باللبين من ناقةٍ وغيرها .

7 بهيم الليل : الليل الذي لاضوء فيه .

8 جلابيب الدجى : جلابيب جمع جلباب، واستعارها الشاعر هنا للدجى : أي للظلام.

9 شَحِب : أي شاحب ومتغير .

الشرح:

كان المنجمون قد نصحوا الخليفة المعتصم ألا يسير جيوشه لقتال الروم في هذا الوقت خوفا من الهزيمة حيث استطلعوا النجوم بزعمهم، وأملت عليهم تنبؤاتهم أن الأمر ليس لصالح المسلمين، ولكن المعتصم سيّر جيشه رغم هذه التنبؤات وهزم الروم على عكس

توقعات المنجمين و مزاعمهم، لذا استغل أبو تمام كذب المنجمين ، وبدأ قصيدته في مدح المعتصم بالرد على تلك المزاعم واثبات أن القوة الصادقة هي التي تحسم الأمور وليس المنجمون وكتبهم .

فهو نصر يشهد بصدق السيف وحده هو الفاصل بين الحقيقة والخرافة، فالسيوف البيضاء هي التي تزيل الباطل وتظهر الحقيقة أما صحائف المنجمين السوداء فإنها تضيع الحقائق وتنشر الأباطيل والخبر اليقين تنطق به الرماح عند اشتداد القتال أما الكواكب السبعة التي اعتمد عليها المنجمون فلن تهدي إلى حقيقة في هذا الأمر، ولذا فهي لا تخبر عن أمر قبل وقوعه، ولو كانت تملك ذلك لأظهرت للمنجمين ما سيحدث للأ وثان والصلبان.

إن هذا النصر الذي أحرزه المسلمون في فتحهم عمورية يُعد نصراً عظيماً يعجز الشعراء والخطباء عن وصفه، إنه فتح مبين تفتحت له أبواب السماء استبشاراً بنصر دين الله وفرح المسلمون به فبرزت الأرض كالعروس في ثيابها الجديدة، ثم يوجه الشاعر الخطاب إلى هذا اليوم المجيد قائلا : لقد تحققت الأماني العظيمة فيك، وبقدر ما نال أبناء الإسلام في هذا اليوم من الرفعة والعلو، فإن غيرهم من المشركين قد أصابهم الذل في عقر دارهم وانحطت مكانتهم .

ثم يتجه بكلامه إلى الخليفة مصورا أثر المعركة على هذه المدينة قائلا : يا أمير المؤ منين لقد أشعلت هذه الحرب ناراً أكلت الخشب وصهرت الصخر في هذه المدينة وارتفع لهيب الحرائق الذي طرد ظلام الليل وحوله إلى صبح مشرق حتى خيل للناظر أن الشمس لم تغب عن هذا المكان، أو أن الليل غير لونه الأسود وتخلص منه، ثم إن ضوء، النهار قد تأثر بدخان هذه الحرائق الذي غير إشراق الضحى إلى ظلمة من الدخان.

وفي الأبيات الأخيرة يمدح الشاعر الخليفة المعتصم بصفات الإخلاص، وقوة الإرادة والجد في طلب الأمور، فهذه المعركة جاء تدبيرها من معتصم بالله يحتمي به، وينتقم له من أعداء دينه، وهو يراقب الله فيما يفعل، ويرغب بكل ما يقربه إليه.

❁❁❁❁❁❁

المناقشة

س1 : تلقى أبو تمام العلم والأدب في بداية حياته في أكثر من موطن، فما هذه المواطن ؟ وكيف تم له ذلك ؟

س2 : القصيدة تصور حدثا تاريخيا، فما الحدث ؟ وما مناسبته؟

س3 : ما الأفكار الرئيسية التي اشتملت عليها هذه القصيدة ؟ وما لون العاطفة في كل منها ؟

س4 : في القصيدة كثير من الصور الخيالية الرائعة، اختر واحدة منها وأوضحها؟

س5 : قصيدة (عمورية) من القصائد الشهيرة في الأدب العربي ، أوضح سبب شهرتها ؟

❀❀❀❀❀❀

4_ ابن الرومي يرثي ولده

التعريف بالشاعر :

ابن الوومي (221–287 هـ_) شاعر مجيد، وعلم من أعلام الشعر في القرن الثالث الهجري، ويعد في الطبقة الثالثة من الشعراء، المحدثين، وهي الطبقة التي كان من أعلامها أبو تمام والبحتري وابن المعتز، وقد نبغ في فن السخرية والهجاء، وفي الشكوى والرثاء والوصف والعتاب، وقصيدته في رثاء، ولده من روائع الشعر العربي ، ويمتاز ابن الرومي بتفضيله المعنى على اللفظ كما كان المتنبي، فهو يطلب المعنى ولا يبالي حيث وقع من هجونة اللفظ وخشونته، يقول ابن رشيق فيه : إنه أكثر الشعراء اختراعا للمعاني، وهو بديح المعاني بعيدها، وهو طويل النفس في قصائده، كثير التحليل والتوليد والاخترع فيها، جميل التنسيق، جزل الأسلوب، سلس الألفاظ.

القصيدة :

بكاؤكما[1] يشفي و إن كان لا يجدي، فجودا فقد أودى نظير كما عندي

ألا قاتل الله المنايا ورميها من القوم حبات[2] القلوب على عمد

توخى[3] حمام الموت أوسط صبيتي فلله كيف اختار واسطة العقد[4]

على حين شِمْتُ[5] الخير من لمحاته و آنست[6] من أفعاله آية[7] الرشد

طواه الردى[8] عني ، فأضحى مزاره بعيداً على قرب، قريباً على بعد

لقد أنجزت فيه المنايا وعيدها، وأخلفت الآمال ما كان من وعد

لقد قل بين المهد و اللحد لبثه فلم ينس عهد المهد ،إذ ضم في اللحد

ألح[9] عليه النزف حتى أحاله إلى صفرة الجاديّ[10] عن حمرة الورد

وظلّ على الأيدي تساقط نفسه ويذوي[11] كما يذوي القضيب من الرند[12]

فيا لك من نفس تساقط أنفساً[13] تساقط در من نظام بلا عقد

عجبت لقلبي كيف لم ينفطر[14] له ... ولو أنه أقسى من الحجر الصلد[15]

وإني وإن متعت بابنيّ بعده، ... لذاكره ما حنّت النيب[16] في نجد

وأولادنا مثل الجوارح، أيها ... فقدناه، كان الفاجع البيّن الفقد

معاني المفردات :

1 بكاؤكما : خطاب لعينيه .

2 الحبات : جمع حبة، وحبة القلب سويداؤه .

3 توخى : اختار وقصد .

4 واسطة العقد : الجوهرة التي في وسطه .

5 شِمت : نظرت .

6 آنست : نظرت وعلمت .

7 الآية : الآية العلامة .

8 الردى : الموت .

9 ألح : أصر .

10 الجادي : الزعفران .

11 يذوي : يذبل .

12 الرند : شجر طيب الرائحة .

13 فيالك من نفس تساقط أنفساً : شبه نفسه كأنها تساقط أنفساً مجزأةً كما يتساقط الدر من سلك غير معقودٍ .

14 ينفطر : ينشق .

15 الصلد : الصلب .

16 النيب : جمع ناب وهي الناقة المسنة .

الشرح:

يبدأ الشاعر رثاءه بدء عقليا حينما يقول بأن البكاء يخفف من لوعة الحزن، وإن كان لا يفيد في رد ذلك العزيز الذي طواه الردى، ويطلب من عينيه أن تجودا بالدمع إذ فقد من يساويهما إعزازا، ثم يعبر عن غضبته على المنايا التي رمت أحب الناس عامدة، فيبين أن الموت لا يتخطف النفوس اعتباطا، وإنما يجيل نظره حتى يختار، وقد اختار أوسط صبيته لعلمه أنه أحب أولاده إليه: لما رأى في لمحات وجهه من الدلائل التي تنبئ بالخير ولما رأى من أفعاله ما يد ل على عقل وافر. لكن الموت أخذه أصبح بعيدا منه ..

بعداً شاسعاً على الرغم من قرب مثواه، فذكراه لا تغيب عنه على الرغم من بعد جسده، ويواصل الشاعر حديثه عن هذه المصيبة عندما يقول : إن المنايا أنجزت وعيدها باختطافه حينما أصابه المرض، وخيبت آما لا حلوة كانت توراود أهله بشفائه.

ثم يستمر في طبيعته المتدفقة حينما يلح على الصورة فيرسم كل جوانبها فهو هنا يرسم الطفولة الغضة رسماً موجزاً سريعاً بوضع المهد إلى جانب اللحد، فيقول : إنه ما كاد يخرج من المهد حتى تلقفه اللحد. ويحول فينا مكامن الحزن بتصويره ذلك الطفل البريء وقد انقض عليه الموت ينقله سريعا إلى اللحد، ويذكر سببه موته هو ذلك النزف الذي ألح عليه حتى حوله إلى اللون الأصفر، بعد أن كان محمر الو جنات كالورد، وعندها حمل على الأيدي وهو يجود بأنفاسه كأنه غصن أصيب بالذبول بعد النضارة، وكأن روحه شيء يتساقط جزءاً جزءاً، وكأنه عقد ثمين تتساقط حباته حبة إثر حبة.

و يختم هذه الواقعة الحزينة بتعجبه من قلبه الذي لم ينشق لهول تلك النهاية التي كان جديرا به أن يهتز لها مهما كان قاسيا كالحجر، وهو وإن تمتع بأخويه بعده فلن ينساه؛ لأن فقد أحد الأولاد كفقد إحدى الجوارح مصيبة عظيمة لا تعدلها مصيبة.

❁❁❁❁❁

المناقشة

س1: من المخاطب في قول الشاعر : (بكاؤكما) وما معنى قوله : فقد أودى نظيركما عندي؟

س2: في البيت الثالث صورة رائعة. أوضحها، وبين جمالها الأدبي ؟

س3: تكاد الأبيات (6 ، 7 ، 8) تدور حول فكرة واحدة. أوضحها ؟

س4: بم ختم الشاعر قصيدته أوضح ذلك ؟

س5: استخرج من النص جملة خبرية مع بيان الغرض منها، وأخرى إنشائية وبين نوعها؟



5_ المتنبي يمدح سيف الدولة ، ويصف انتصاره على الروم

التعريف بالشاعر :

هو أحمد بن الحسين الملقب بالمتنبي، وكنيته أبو الطيب، ولد بالكوفة سنة 303 هـ لأب كان يسقي الماء لأهلها وفيها نشأ نشأته الأولى وترعع، حيث تعلم القراءة في الكتاب، وكان ذكيا محبا للاستزادة، فلازم الوراقين يطالع دفاترهم، وحضر حلقات العلماء، وخالط الأدباء.

وكان طموحاً متوثب النفس جعله ذلك يتردد بين البادية والحاضرة، فاكتسب من الأولى صلابتها ونزعتها البدوية، ونهل من معينها الصافي في اللغة، واكتسب من الثانية علومها وثقافتها الأدبية.

بدأ المتنبي قول الشعر صغيراً منذ أن كان في الكتاب، وأخذ يمدح بعض النابهين وذوي النفوذ في الكوفة، وتجول في أقطار البلاد الشامية حتى بدأ اتصاله بسيف الدولة الحمداني، ونال عنده الحظوة والرعاية الخاصة يصفه بأعظم مدائحه، ويسعد بما يناله من جاه ومال وفير، حتى دب خلاف بينهما بسبب الحساد، فغادر حلب متجها إلى مصر، حيث مدح واليها كافورا الأخشيدي! طمعا في أن يوليه ولاية، ولكن كافورا خيب ظنه، فاضطر إلى الهرب من مصر بعد أن هجاه.

ورجع إلى الكوفة سنة 351 هـ_ وتنقل في فارس ثم عاد إلى الكوفة، وفي طريقه اعترضه فاتك الأسدي قريبا من بغداد، وقتله سنة 354 هـ_ ومعه ابنه وبعض رفاقه.

والمتنبي من فحول شعراء العربية حتى قيل : إنه مالئ الدنيا وشاغل الناس، وقد برع في جميع أغراض الشعر وبخاصة الفخر والحكمة والمدح. وكانت حكمه نابعة من نفسه التي خبرت الحياة والناس، فصاغها صياغة صادفت هوى في نفوس الناس الذين عشقوا شعره، فكأنما يعبر عما في نفوسهم، وكانت الحكم الرائعة، والصور الجميلة والمعاني المبتكرة، والتعبير عن الذات من أهم مميزات شعر المتنبي.

القصيدة :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم
يكلف سيف الدولة الجيش همه[1] ... وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم[2]
ويطلب عند الناس ما عند نفسه ... وذلك ما لا تدعيه الضراغم[3]
هل الحدث الحمراء[4] تعرف لونها ... وتعلم أي الساقيين الغمائم
سقتها الغمام الغر قبل نزوله ... فلما دنا منها سقتها الجماجم
بناها فأعلى والقنا تقرع القنا ... وموج المنايا حولها متلاطم
وكيف تُرَجِّي الروم والروس هدمها ... وذا الطعن آساس لها ودعائم
أتوك يجرون الحديد كأنهم ... سروا بجياد ما لهن قوائم
إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ... ثيابهم من مثلها والعمائم
خميس[5] بشرق الأرض والغرب زحفه ... وفي أذن الجوزاء منه زمازم
وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى[6] هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم
ضممت جناحيهم على القلب ضمة ... تموت الخوافي[7] تحتها والقوادم[8]
نثرتهم فوق الأحيدب[9] نثرة ... كما نثرت فوق العروس الدراهم

معاني المفردات :

1 همه : أي همته .

2 الخضارم : جمع الخضرم وهو الكثير من كل شيء .

3 الضراغم : الأسود .

4 الحمراء : الملطخة بالدماء، وهو وصف لقلعة الحدث.

5الخميس : الجيش المكون من خمس فرق : هي المقدمة، والمؤخرة، والقلب، والميمنة، والميسرة.

6 كلمى : جرحى .

7 الخوافي : الريش الصغار من الطير ومفردها الخافية.

8 القوادم : عشر ريشات في مقدم جناح الطائر .

9 الأحيدب : جبل قلعة الحدث .

الشـــــــرح :

بدأ الشاعر قصيدته بالحكمة التي عرف بها في شعره، فجاء المطلع استهلالاً رائعاً يمهد لموضوع النص، وهو الحديث عن هذا النصر الحاسم، ويؤكد على أن العزائم بقدر أصحابها، فالعزائم القوية التي تطمح إلى أسمى الغايات تصدر عن أصحاب الإرادات القوية والهمم العالية، والفضائل العظيمة تنبع من النفوس الكريمة، وضعيف النفس يستعظم الأمور السهلة، والطموح العظيم يستصغر الأمور الصعبة، ويطلب ما هو أبعد منها، ويرى الصعب سهلا والمستحيل ممكنا، كما فعل سيف الدولة الذي كلف جيشه أن يقوم بما تقتضيه عزيمته من الغزوات، وهو أمر تعجز عنه الجيوش العظيمة، وأراد أن يكون الناس مثله في الشجاعة والإقدام، وذلك ما لا تدعيه الأسود فكيف بالبشر..

وفي الأبيات (5،6،7،8) يلتفت الشاعر إلى قلعة الحدث سائلاً : هل تعرف هذه القلعة لونها بعد أن تغير بالدم وهل تعلم أي الساقيين لها أم هي جماجم الروم التي سقتها بالدم، أم السحائب التي سقتها بالمطر ؟ فإن ما أصابها من الدماء، مثل ما أصابها من ماء السحاب، ويكشف عن الصورة بقوله :

سقتها الغمام الغر قبل نزوله فلـــما دنــا منهــا ســقتها الجماجــم

وقد بنى سيف الدولة هذه القلعة بانتصاره على الروم، فأعلى بناءها و رماح المسلمين تقارع

رماح الروم، والمنايا تسلب أرواحهم كالموج المتلاطم، حيث إن هذا الطعن فيها كالأساس والدعائم التي تستند إليها هذه القلعة في بنائها الجديد فكيف بعد هذا يؤمل الروم والفر س هدمها .

ثم انتقل في الأبيات : (9،10،11) إلى وصف جيش الروم موجها الخطاب إلى سيف الدولة قائلا: أتاك الورم زاحفين مسلحين بمختلف الأسلحة التي تفيض وتغطي قوائم الخيل حتى كأنها تسير بغير قوائم، فإذا سطعت الشمس انعكس ضوؤها بريقا على هذه الأسلحة فلا تتميز السيوف من الفرسان، لأنهم يلبسون دروعا وخوذات كالسيوف، وهذا الجيش كثير العدد يملأ الأفق شرقاً وغرباً، وتصدر منه أصوات تبلغ عنان السماء يختلط فيها صليل السلاح وصهيل الخيل وأصوات الرجال.

ثم يعود الشاعر في الأبيات : (12،13،14،15) إلى مدح الأمير بالشجاعة والثبات مخاطبا إياه بقوله : إنك قد وقفت في ساحة القتال والموت المحقق مطمئناً، كأنك محفوظ في جفن الردى وهو نائم فلم يصبك أذى، أما أبطال العدو فهم يمرون بك جرحى تعلو وجوههم ظلمة الهزيمة والخيبة، أما وجهك فمشرق بالنصر و ثغرك باسم مبتهج وأما قدرتك في المعركة فبرزت عندما هجمت هجمة شديدة على جناحي جيش العدو المتمثلين بجانبيه، فضممتهما على قلب الجيش حتى اختل نظامه وضعفت قواه، وأصبح كطائر يضغط جناحاه على قلبه فيهلك. وقد حققت النصر على أعدائك، وجعلت جثثهم متناثرة فوق جبل الأحيدب كما تنثر الدراهم فو ق العروس .



المناقشة

س1 : كان لتردد المتنبي بين الحاضرة والبادية أثره الواضح في شخصيته الأدبية، أوضح ذلك ؟

س2 : ما أبرز الأغراض التي طرقها المتنبي في شعره ؟

س3 : أوضح الحكمة التي أوردها المتنبي في البيتين الأول والثاني ؟

س4 : بم وصف المتنبي جيش الروم ؟

س5 : أوضح كلًّا من الصور الشعرية الواردة في البيتين الخامس والسادس ؟

س6 : بالغ المتنبي في تصوير رهبة المعركة واحتدامها، فما الأبيات الدالة على ذلك ؟

س7 : في الأبيات كثير من خصائص شعر المتنبي، عدد ما تجده منها ؟



النثر في العصر العباسي

ملامح عامة عن النثر في العصر العباسي :

تطوره :

يعد العصر العباسي الأول من أزهى العصور التي تطور فيها النثر تطوراً عظيماً، وبالإضافة إلى نمو العلوم الإسلامية ورفدها هذا النوع من الأدب بما منحته من سمات خاصة، تفرد بها عن تلك الآداب التي امتزجت به، وقد استطاع الكتاب أن يطوعوا النثر فيجعلوا منه قالبا تنصهر فيه تلك الآداب والعلوم والمعارف، فيغدو أدباً جديداً ذا طابع خاص، ولم يكتفوا بذلك بل حاولوا معرفة الأسس القويمة التي يمكن أن يظهر بها الكلام بليغاً.

فنونه و خصائصه :

كان من سمات نهضة النثر استمرار فنونه التي شهدها العصر الأموي في الازدهار، كالخطب والرسائل الديوانية والمناظرات والعهود والوصايا وتطور بعضها كالتوقيعات والرسائل الأدبية، واستحداث بعضها الآخر كالقصة التي ظهرت مترجمة عند ابن المقفع ومؤلفة عند الجاحظ.

حالة النثر في نهاية العصر العباسي :

لم يكد ينتهي العصر العباسي الأول حتى نرى النثر يصطبغ بما طرأ على الحضارة الإسلامية في العصر العباسي الثاني، من ترف وبذخ وميل إلى الزخرف والتفنن في الطلاء الخارجي، ونعني بالزخرف تلك المحسنات البديعية التي بدأت تتسرب إلى الكتابة مقبولة في أول الأمر لقلة التكلف، كما ظهرت في بعض كتابة ابن العميد وأعلام مدرسته : كالصاحب بن عباد، وأبي إسحاق الصابي وبديع الزمان الهمذاني، الذي كان من أوائل من مال إلى اللعب والعبث في

صناعة الكتابة، فقد روي أنه كان يكتب الكتاب المقترح عليه، فيبتدئ بآخر سطر منه ثم هلم جرا إلى الأول ، فكنت ذروة التكلف الممقوت عند القاضي الفاضل و مدرسته في أواخر العصر العباسي و ما تلاه.

أبرز فنون النثر في العصر العباسي :

الخطابة:

كان للخطابة في أوائل هذا العصر مكانة في النفوس، وسلطان على القلوب لاعتماد العباسيين عليها في توطيد الملك وترسيخ دعائمه، وفي تحميس الجند في استقبال الوفود.

وكان للخلفاء الأولين ودعاتهم فيها الشأن الرفيع، والشأو البعيد كالمنصور، والمهدي، والرشيد، والمأمون، وداود بن علي، وخالد بن صفوان وغيرهم.

وقد امتازت الخطابة في تلك الفترة بجزالة الألفاظ، وعدم الالتزام بالسجع، وكثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف وغلبة الإيجاز مالم تدع الضرورة إلى الإطناب.

ولما استقر الأمر لبني العباس، وقام الموالي بسياسة الدولة وقيادة الجيش ضعفت الخطابة لضعف القدرة عليها، وقلة الدواعي إليها، وحلت الرسائل محلها، حيث قويت الكتابة، واقتصرت الخطابة على خطب الجمع والعيدين والزواج، على أن بعض الخلفاء أنفسهم ما برحوا يخطبون في الناس ويؤمونهم إلى عهد الخليفة الراضي.

ثم لما استعجم المسلمون وانتشر العي لم يستطع الخطباء إنشاء الخطب في الموضوعات المختلفة، فلجؤوا إلى استظهار خطب السابقين، وأخذوا يرددونها على المنابر من غير فهم لمعناها، ولا علم لمغزاها، ودرجوا على هذه الحال حتى نهاية العصر التالي، و هو عصر الدول المتتابعة.

الرسائل الديوانية:

أخذ العرب في العصر الأموي وما تبعه من عصور بالأنظمة الفارسية ومنها الدواوين

التي كانت تنظم بها أحوال الناس والخلافة كديوان الخراج والنفقات والجيش والخاتم والرسائل.

وقد كان يصدر عن الأخير ما يوقهه الخليفة والوزير أو غيره من رسائل في تصريف أمور الدولة، وكان على الكاتب الذي يريد أن يعين في هذا الديوان أن يحيط بشتى العلوم والمعارف المعروفة في عصره، وفي مقدمتها علوم اللسان العربي، وعلم الفقه، وذلك حتى يجود صناعته، وبذلك امتازت كتابتهم بالوضوح، وبالجمال الأدبي، لأنهم يكتبون عن الخلفاء والوزراء والولاة والقواد. ومن هؤلاء الكتاب : يحيى البرمكي كاتب الرشيد، وابنه جعفر البرمكي والفضل بن سهل وأخوه الحسن وزير المأمون.

التوقيعات :

هي ما يوقع به الخليفة أو الوزير أو الوالي على ما يرفع إليه من شكوى أو تظلم، وقد عرفت منذ أيام عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ، إذ نسب إليه توقيع على كتاب سعد بن أبي وقاص -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وقد استأذنه في بناء بيت وهو وال على العراق - فكتب : ابن ما يُكِنُّك من الهواجر وأذى المطر.

وقد كثرت التوقيعات في الدولة العباسية ونسبت إلى كثير من الخلفاء كالسفاح والمنصور والمهدي والرشيد، والوزراء، كجعفر بن يحيى البرمكي الذي يعد من أبرع من أثرت عنه توقيعات، وكثيراً ما يكون التوقيع آية من القرآن الكريم، أو حديثاً نبوياً، أو حكمةً من الحكم، أو بيتاً من الشعر. ومما أثر من توقيعات بليغة توقيع الفضل بن سهل على قصة مظلوم : (كفى بالله للمظلوم ناصرًا) ولما كتب أحد الولاة إلى المهدي يشكو سوء طاعة رعاياه وقع في الكتاب ((خذ العفو وأمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين)) وغير ذلك كثير في العصر العباسي .

المقامات :

جمع مقامة وهي اسم للمجلس أو الجماعة من الناس وهي حكاية قصيرة تدور حول بطل وهمي وراوية خيالي لغرض اجتماعي أو لغوي. وسميت الحكاية مقامة ؛ لأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة لسماعها، وقد قيل إن بديع الزمان المتوفى سنة 398 هـ_ هو مخترعها، ولكن ورد ذكر المقامات في كلام لابن قتيبة المتوفى سنة 267هـ _ في كتابه الشعر والشعراء حيث يقول :((وكذلك الكلام المنثور في الرسائل والمقامات والجوابات)) ؛ ولكنها لم تتخذ شكلها الحقيقي إلا على يد بديع الزمان.

فقد استوت المقامات على يده قصصا قصيرة تحفل بالموضوعات الأدبية ، وفيها تدور المحاورة بين شخصين سمى أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح الإسكندري. وقد نهج الحريري المتوفى سنة 516هـ ، على منواله فجعل الحوار بين شخصين هما أبو زيد السروجي والحارث بن همام ، ويظهر أبو الفتح الإسكندري أو أبوزيد السروجي في صورة أديبٍ شحاذٍ يستدر عطف الناس بمواقفه بينهم وما يجري على لسانه من فصاحة في أثناء مخاطبتهم.

وتبلغ مقامات بديع الزمان نيفا وخمسين مقامة، يدور أغلبها حول أهل الكدية (الاستجداء،) وحيلهم في استخلاص الأموال والطعام.

وبعضها اتخذ من النقد الأدبي موضوعاً له، كالمقامة القريضية. وبعضها الوعظ الديني، وبعضها يصور الحياة في بغداد.

وقد التزم بديع الزمان في مقاماته أسلوب السجع غالباً، وتخللت الروح الفكاهية البديعية كثيراً منها، وعني باختيار ألفاظه، وتقصير سجعاته، وأضاف إليها بعض المحسنات الأخرى كالجناس والطباق والتورية، وضمنها كثرة من الشعر، وبث فيها كثيراً من الأمثال، واقتبس آيات القرأن الكريم ، كما يلحظ عليها كثرة الغريب كثرة مفرطة، مما جعل بعض الباحثين يزعم أنها إنما ألفت لغاية تعليمية وهي التمرن على الكتابة والإنشاء وعلى مذاهب النظم والنثر.

وقد التزم الحريري ما التزمه الهمذاني، إلا أنه فاقه في كثرة الغريب، وكان أكثر منه تصنعاً وتكلفاً للبديع.



المناقشة

س1 : تطور النثر في العصر العباسي الأول تطوراً عظيماً. ما العوامل التي أدت إلى ذلك ؟ وما مظاهر هذا التطور ؟

س2: تأثر النثر الأدبي في العصر العباسي بترف الحضارة، ومال إلى الزخرف. أوضح ذلك، واذكر اثنين من أعلامه في هذه الفترة.

س3 : كيف كانت حال الخطابة في أول العصر العباسي وآخره ؟ وضح ذلك

س4 : امتازت الكتابة الديوانية في العصر العباسي بالوضوح والجمال؟ فما سر ذلك ؟

س5: كثرت التوقيعات في الدولة العباسية؟ فما المراد بها ؟ وما ملامح أسلوبها ؟ أورد مثالا يوضح ذلك .

س6: ما الفرق بين أسلوب الحريري وأسلوب الهمذاني في كتابة المقامة ؟



نماذج من النثر في العصر العباسي

التعريف بالقائل و المناسبة :

هو أبو جعفر المنصور عبدالله بن محمد، ثاني الخلفاء العباسيين، كان معروفاً بالتقوى والصلاح ولي الخلافة سنة 136هـ ، ويعد ممن أرسوا قواعد الدولة العباسية ثبتوها بحزمهم وقوة شخصيتهم كما يعد من الخلفاء، العباسيين الذين عنوا بتدوين العلوم وترجمتها توفي سنة 158هـ .

وقد خطب المنصور هذه الخطبة عندما قتل أبا مسلم سنة 137هـ ، وذلك أن المنصور كان قد أرسله لحرب عمه عبد الله بن علي وكان قد خرج عليه بالشام فلما ظفر به أبو سلم، وغنم جميع ما كان في عسكره، وانهزم عبدالله إلى البصرة، أرسل المنصور بعض خدمه للحفاظ على ما في المعسكر من الأموال، فغضب أبو مسلم، وقال : أمين على الدماء، خائن في الأموال ! وشتم المنصور، وعزم. على الخلاف والتوجه إلى خراسان، فجعل المنصور يتلطف به حتى استقدمه إليه وقتله....

خطبة لأبي جعفر المنصور العباسي

خطب أبو جعفر المنصور عند قتل أبي مسلم الخراساني فقال :

((أيها الناس، لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ولا تسروا غش الأئمة، فإنه لم يسر أحد قط منكرة إلا ظهرت في آثار يده، وفلتات لسانه، وصفحات وجهه، وأبداها الله لإمامه، بإعزاز دينه، وإعلاء حقه ، إنا لن نبخسكم حقوقكم، ولن نبخس الدين حقه عليكم، إنه من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خبي هذا الغمد، وإن أبا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا، على أنه من نكث بنا فقد أباح دمه، ثم نكث بنا، فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا، ولم

تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه)).

التعلـــــيق:

بدأ أبو جعفر خطبته محذّراً من ترك الطاعة بما فيها من أمن هدوء ، والإقدام على المعصية وما وراءها من خوف وعزلة ، كما حذر من غش الأئمة ، ولو كان ذلك في السر والخفاء، لأن أي منكر يسره الإنسان لابد أن ينكشفه في عمل يعمله أو قول يقوله وعند ذلك يصيبه العقاب الذي لا مفر منه وفي هذا قوة للدين واظهار للحق على الباطل.

وانتقل بعد ذلك إلى بيان موقفه من الناس، ومن أبي مسلم خاصة فقرر أنه لن يظلمهم حقا هو لهم ولن يفرط في حق أوجبه الدين عليهم، وأن أي فرد منهم يحاول أن يعتدي على نفوذ الإمام فلا جزاء له إلا السيف. وعرض بعد ذلك لحادث أبي مسلم الخراساني فلخصه في أنه بايع الناس على الطاعة للعباسيين، وكان يقتل من ينكث بعهدهم ثم عاد أبو مسلم فنكث به، فكان حقه العقاب الذي كان يفرضه على غيره دون أن تمنع رعاية الحق الذي له من إقامة الحد عليه.

وفي الخطبة نحس قوة تركيز فألفاظها تسير مع الجو النفسي لها، فهي تهدأ تارة وتشتد أخرى، مما يدل على مهارة أبي جعفر المنصور وحكمته.

وأسلوب الخطبة يتميز بمتانة العبارة، وجزالة اللفظ وقوته، ليلائم موقف الغضب والتحذير، كما يظهر في الأسلوب عبارات التهديد والوعيد، بجانب النصح ومحاولة الإقناع ، مع الاعتماد على ما قرره الإسلام من مسؤولية الحاكم عن الدين والرعية، وما له من حق الطاعة والنصح.



المناقشة

س1 : ما المناسبة التي دعت أبا جعفر المنصور لإلقاء هذه الخطبة ؟

س2 : كيف ينكشف من أسرَّ الغش والمنكر كما جاء في هذه الخطبة ؟

س3 : اشتملت الخطبة على عبارات تهديد وعبارات نصح؟ اختر من الخطبة ما يمثل النوعين.

س4 : بم يتميز أسلوب هذه الخطبة ؟



2_ وصف الصديق لابن المقفع

التعريف بالكاتب :

هو عبدالله بن المقفع فارسي الأصل، ولد سنة 1056 هـ من أبٍ مجوسي كان يعمل في دواوين الخراج للحجاج بن يوسف الثقفي، ثم اتهم بخيانة، فضربه الحجاج ضربا مبرحا تقفعت منه يداه، أي يبستا، فلقب لهذا بالمقفع.

عني أبوه بتأديبه وتعليمه العربية، واشتغل بالكتابة لبعض الولاة في الدولة الأموية ثم لبعض الولاة في الدولة العباسية ، وكان نبيل الخلق يأخذ نفسه بخصال المروءة، كما اشتهر بالسخاء. قيل له : من أدبك قال : نفسي، إذا رأيت من غيري قبيحا أبيته، وإن رأيت حسنا أتيته.

مات مقتولاً لخلاف مع الخليفة المنصور سنة 145هـ ، بعد أن خلف آثارا أدبية أهمها (الأدب الصغير) وهو وصايا خلقية واجتماعية، و(الأدب الكبير) وهو يتناول أمور السياسة والصداقة، و(كليلة ودمنة) وهو مجموعة قصص صيغت على ألسنة الحيوان للعظة والاعتبار بطريقة مشوقة.

ويعد ابن المقفع رأس الطبقة الأولى من الكتاب في العصر العباسي، وقد استخلص من الأسلوب الفارسي والعربي طريقة في الكتابة عرفت به وأخذت عنه.

النـــص :

((وإني مخبرك عن صاحب لي، كان من أعظم الناس في عيني، كان رأى ما أعظته في عيني صغر الدنيا في عينه كان خارجا من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان خارجا من سلطان لسانه، فلا يقول مالا يعلم، ولا ينازع فيما يعلم، وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يقدم أبدا إلا على ثقة بمنفعة ، كان أكثر دهره صامتا، فإذا نطق بذّ الناطقين. كان

يرى متضاعفا مستضعفا، فإذا جاء الجد فهو الليث عاديا كان لا يدخل في دعوى، ولا يشترك في مراء، ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضيا عدلا وشهودا عدولا، وكان لا يلوم أحدا على ما قد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره. وكان لا يشكو وجعا إلا إلى من يرجو عنده البرء، وكان لا يستشير صاحبا إلا من يرجو عنده النصيحة. وكان لا يتبرم، ولا يتسخط و لا يشتهي و لا يشتكي و كان لا ينقم على الولي و لا يغفل عن العدو و لا يخص نفسه دون إخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته، فعليك بهذه الأخلاق إن أطقت – ولن تطيق – ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع))

التعـليق :

ختم ابن المقفع كتابه الأدب الكبير بهذه القطعة التي يصف فيها صاحبه ولعلها وصف عام لمن يراه المثل الأعلى في الخلق القويم، ولذلك يجعله من أعظم الناس في عينه ثم بدأ يعلل لهذا بذكر صفاته، فمنها أنه غير متكالب على الدنيا، بل يعلو عليها ؛ لأنه عفيف النفس لا يبدو منه طمع أو جشع أو سوء خلق مما يجعله محتقرا في نظر الناس ومنها أنه لا تسيطر عليه الرغائب الجسدية، وعبر عن ذلك تعبيرا حسيا قويا بأن كنى عنها بالبطن وأنه ذو سلطان، وفصل القول بأنه لا يشتهي ما لا يجد واذا وجد لا يكثر من المتاع.

وتناول اللسان الذي قد يسيطر على صاحبه أحياناً فيؤدي به إلى التهلكة أما هو فيغلب هذا اللسان ويلجمه ويكبح جماحه لا يقول ما لا يعلم، ولا يجادل فيما يعلمه، لأن فوق كل ذي علم عليما، فمهما علم الإنسان فلا يجوز له الظن بأنه أحاط بكل شيء علما، بل التواضع هو التاج الذي يجب أن يتحلى به الإنسان ، وصاحبه بعيد عن الزج بنفسه فيما لا يفيد. وهو لا يظهر قويا في كل الأحوال، بل في الوقت الذي يتحم عليه النضال، وكان من حصافته أنه لا يدخل في جدال إلا إذا وجد من ينصفه على خصمه ومن يشهدون على تفوقه عليه، والا فلا فائدة من الجدال، لأن كلا من المتجادلين سوف يتمسك برأيه ويظن أنه المصيب، وكان لا يتعجل لوم

أحد من الناس حتى يتبين له الأمر جلياً، وكأنه يعمل بقول الشاعر :

تــأنَّ ولا تعجــل بلــوم لصــاحب لعـــل لـــه عـــذرا وأنـــت تلـــوم

وإذا ما استمرت قراءتنا لهذا الوصف الرائع للصديق، تبينا تلك العقلية الحكيمة التي صاغت الأوصاف، وهي عقلية ابن المقفع الذي ذكر معاصروه أنه كان آية في البلاغة.

ومن خلال دراسة هذا النص وغيره من كتابات ابن المقفع نستطيع أن نتبين الخصائص التالية لأسلوب ابن المقفع :

١ – جزالة الألفاظ التي استخدمها مع سهولتها.

٢ – عدم التجائه إلى حوشي الألفاظ أو مهجورها مما يحتاج فيه إلى تصفح المعاجم.

٣ – الإيجاز، فالمعاني تؤدى بأقل قدر من الألفاظ دون أن تقصر عنها.

٤ – المعاني تؤدى أداء، فصيحاً سلِساً دون الالتجاء إلى السجع والازدواج.

٥ – الاستعانة بألفاظ القرآن الكريم وأساليبه، كما في غير هذا النص الذي ورد.



المناقشة

س1 : كيف تكونت ذخيرة ابن المقفع العلمية ؟ وما الصفات التي كان يتصف بها ؟

س2 : (كليلة ودمنة) مجموعة قصص ترجمها ابن المقفع إلى العربية كيف صاغها ؟ وما الهدف منها ؟

س3 : ما منزلة الصديق الذي جاء ذكره في النص عند ابن المقفع ؟

س4 : كان ذلك الصديق هو المثل الأعلى في الخلق القويم. فما الصفات العامة التي اتصف بها ؟

س5 : يكشف نص ابن المقفع عن عقلية صاحبه، وعن خصائص أسلوبه في الكتابة، أوضح ذلك .



المقامة البغدادية لبديع الزمان الهمذاني

التعريف بصاحب المقامة :

هو أبو الفضل، أحمد بن الحسين، ولقبه بديع الزمان، ولد سنة ٣٥٨هـ . كان نادرة في حفظه، وكان شاعرا وناثرا وكاتب مقامة وتعد المقامات هي أهم أعماله الأدبية. وقد ظهر في أدبه حبه الشديد للزخرف اللفظي والصنعة البديعية، توفي سنة 398هـ .

النص :

((حَدَّثَنَا عِيَسى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: اشْتَهَيْتُ الأَزَاذَ، وأَنَا بِبَغْدَاذَ، وَلَيسَ مَعْي عَقْدٌ عَلى نَقْدٍ، فَخَرْجْتُ أَنْتَهِزُ مَحَالَّهُ حَتَّى أَحَلَّنِي الكَرْخَ، فَإِذَا أَنَا بِسَوادِيٍّ يَسُوقُ بِالجَهْدِ حِمارَهُ، وَيطَرِّفُ بِالعَقْدِ إِزَارَهُ، فَقُلْتُ: ظَفِرْنَا وَالله بِصَيْدٍ، وَحَيَّاكَ اللهُ أَبَا زَيْدٍ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ؟ وَمَتى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمَّ إِلَى البَيْتِ، فَقَالَ السَّوادِيُّ: لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ، وَلَكِنِّي أَبو عُبَيْدٍ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَعَنَ اللهُ الشَّيطَانَ، وَأَبْعَدَ النِّسْيانَ، أَنْسَانِيكَ طُولُ العَهْدِ، وَاتْصَالُ البُعْدِ، فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ ؟ أَشَابٌ كَعَهْدِي، أَمْ شَابَ بَعْدِي؟ فَقَالَ: قَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ، وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللهُ إِلَى جَنَّتِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلاَ حَوْلَ ولاَ قُوةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم، وَمَدَدْتُ يَدَ البِدَارِ، إِلي الصِدَارِ، أُرِيدُ تَمْزِيقَهُ، فَقَبَضَ السَّوادِيُّ عَلى خَصْرِي بِجِمُعْهِ، وَقَالَ: نَشَدْتُكَ اللهَ لا مَزَّقْتَهُ، فَقُلْتُ: هَلُمَّ إِلى البَيْتِ نُصِبْ غَدَاءً، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شِواءً، وَالسُّوقُ أَقْرَبُ، وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ، فَاسْتَفَزَّتْهُ حُمَةُ القَرَمِ [1]، وَعَطَفَتْهُ عَاطِفَةُ اللَّقَمِ، وَطَمِعَ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ، ثُمَّ أَتَيْنَا شَوَّاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقاً[2]، وَتَتَسَايَلُ جُوذَابَاتُهُ[3] مَرَقاً، فَقُلْتُ: افْرِزْ لأَبِي زَيْدٍ مِنْ هَذا الشِّواءِ، ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الحَلْواءِ، واخْتَرْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الأَطْباقِ، وانْضِدْ عَلَيْهَا أَوْرَاقَ الرُّقَاقِ[4]، وَرُشَّ عَلَيْهِ شَيْئَاً مِنْ مَاءِ السُّمَّاقِ(5)، لِيأَكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيَّاً، فَأَنْحَى الشَّواءُ بِسَاطُورِهِ، عَلَى زُبْدَةِ تَنُّورِهِ[6]، فَجَعَلها كَالكَحْلِ

سَحْقاً، وَكَالطِّحْنِ دَقّا، ثُمَّ جلسَ وَجَلَسْتُ، ولا يَئِسَ وَلا يَئِسْتُ، حَتَّى اسْتَوفَيْنا، وَقُلْتُ لِصَاحِبِ الحَلْوَى: زِنْ لأَبِي زَيْدٍ مِنَ اللُّوزِينج[7] رِطْلَيْنِ فَهْوَ أَجْرَى فِي الحُلْوقِ، وَأَمْضَى فِي العُرُوقِ، وَلْيَكُنْ لَيْلِّي العُمْرِ[8]، يَوْمِيَّ النَّشْرِ[9]، رَقِيقَ القِشْرِ، كَثِيفِ الحَشْو، لُؤْلُؤِيَّ الدُّهْنِ، كَوْكَبِيَّ اللَّوْنِ، يَذُوبُ كَالصَّمْغِ، قَبْلَ المَضْغِ، لِيَأْكُلَهُ أَبو زَيْدٍ هَنِيًّا، قَالَ: فَوَزَنَهُ ثُمَّ قَعَدَ وَقَعدْتُ، وَجَرَّدَ وَجَرَّدْتُ[10]، حتىَّ اسْتَوْفَيْنَاهُ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَبَا زَيْدٍ مَا أَحْوَجَنَا إِلَى مَاءٍ يُشَعْشِعُ بِالثَّلْجِ[11]، لِيَقْمَعَ هَذِهِ الصَّارَّةَ[12]، وَيَفْثأَ هذِهِ اللُّقَمَ الحَارَّةَ، اجْلِسْ يَا أَبَا زَيْدٍ حَتَّى نأْتِيكَ بِسَقَّاءٍ، يَأْتِيكَ بِشَرْبةِ ماءٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أَرَاهُ ولاَ يَرَانِي أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ، فَلَمَّا أَبْطَأْتُ عَلَيْهِ قَامَ السَّوادِيُّ إِلَى حِمَارِهِ، فَاعْتَلَقَ [13] الشَّوَّاءُ بِإِزَارِهِ، وَقَالَ: أَيْنَ ثَمَنُ ما أَكَلْتَ؟ فَقَالَ: أَبُو زَيْدٍ: أَكَلْتُهُ ضَيْفَاً، فَلَكَمَهُ لَكْمَةً، وَثَنَّى عَلَيْهِ بِلَطْمَةٍ، ثُمَّ قَالَ الشَّوَّاءُ: هَاكَ، وَمَتَى دَعَوْنَاكَ؟ زِنْ يَا أَخَا القِحَةِ [14] عِشْرِينَ، فَجَعَلَ السَّوَادِيُّ يَبْكِي وَيَحُلُّ عُقَدَهُ [15] بِأَسْنَانِهِ وَيَقُولُ: كَمْ قُلْتُ لِذَاكَ القُرَيْدِ [16]، أَنَا أَبُو عُبَيْدٍ، وَهْوَ يَقُولُ: أَنْتَ أَبُو زَيْدٍ، فَأَنْشَدْتُ:

أَعْمِلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلـهْ   لاَ تَقْعُدَنَّ بِكُلِّ حَالَـهْ

وَانْهَضْ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ   فَالَمْرْءُ يَعْجِزُ لاَ مَحَالَه [17])).

معاني المفردات:

1- الحمة : شدة الشيء. القرم : اشتداد الرغبة في أكل اللحم خاصة.

2- العرق هنا : ما يتقاطر من الشواء، من دهن بفعل النار.

3- الجواذبات : جمع جواذبة : وهي خبز في تنور وقد علق فوق الخبز طائر أو لحم أو غيره يشوى فيقطر دسمه على الخبز فيغني عن الأدم.

4- الرقاق : خبز رقيق معروف يشبه في وقته رقة الورق.

5- السماق : حب أحمر مغير بالغ في الحموضة، وتسجره يشبه شجر الرمان يثمر في عناقيد تنتظم ذلك الحب.

6- التنور : موقد النار، وأضاف الزبدة إلى التنور لأنها من خصائصه ولوازم الالمحل من شواثه ومسحق الزبدة حتى جعلها كالكحل أو الدقيق ليسهل ذوبانها بسرعة.

7- لا بئس لا بئست : يريد أن كلاً منهما كان يطمح في إنفاذ ما بين يديه.

استوفينا: فرغنا من الطعام ، اللّوزينج: نوع من الحلوى يصنع من نوع من الخبز ويسقى بزيت اللوز ويحشى بالجوز واللوز.

8- ليلي العمر : صنع بالليل.

9- يوميى النشر : تنشر في مصنعه بالنهار فيكون قد نضج وسرت الحلاوة في جميع أجزائه.

10- جرد وجردت : أي جرد يده من ثيابه وفعلت مثله.

11- الصارة : العطش.

12- فاعتلق : أي تعلق.

13-القحة : الرقاحة. ومعنى زن عشرين : أعه وزن عشرين درهما.

14- عقدة : أي عقد كيس نقوده ليخرج الدراهم.

15- القريد : تصغير قرد.

16- معنى البيتين : إذا كان لابد من أن يصل المرء إلى عجز عن العمل فعليه في زمن القدرة أن ينهض إلى الغنائم ينالها ويستوفي حظه منها قبل أن يدركه العجز ويحوطه الحرمان.

17- الكدية : الشحاذة.

التـــــعلـيق:

إذا كان معظم مقامات بديع الزمان الهمذاني تدور حول الكدية، فإن هذه المقامة تصور سعة حيلة بطلها، حين احتاج إلى طعام ولم تكن معه نقود، واستطاع برغم ذلك أن يأكل حتى الشبع من جميع صنوف الأطعمة الفاخرة التي كانت تعرفها بغداد في عصره، فقد احتال على هذا الفلاح المسكين واستضافه إلى طعام وهرب منه دون أن يدفع شيئا، وقد تحمل ذلك المسكين إلى جانب ما دفع سيلا من اللكمات نزلت على أم رأسه من صاحب المطعم.

وتصور المقامة جانباً من الحياة الاجتماعية في بغداد مثل سذاجة بعض أهل القرى المحيطة بها من طبقة المزارعين واحتيال المحتالين عليهم، كما يحدث أحيانا في العصر الحديث، كما تصور بعض أصناف الأطعمة المعروفة في هذا العصر، ويغلب عليها الأطعمة الفارسية التي أحبها العرب وشغفوا بها.

أما من الناحية الأدبية فربما كانت هذه المقامة أقرب في بنائها الأدبي من بعض المقامات الأخرى إلى القصة القصيرة بشكلها الحديث، فهي تدور حول حدث واحد ذي بطلين اثنين لاغير، وينتهي بالنهاية التي يؤدي إليها تسلسل الأحداث الصغيرة حين هرب المحتال وتحمل القروي الضرب ودفع ثمن ما أكله المحتال، وإن كانت في هذه المقامة أقرب إلى النادرة منها إلى القصة.

غير أن المقامة لم تخرج بعد ذلك عن هدفها التعليمي في صياغتها، وأسلوبها ومفرداتها وتشبيهاتها، وهي الأشياء، التي يهدف إليها كاتب المقامة أولاً، على الرغم مما تضمنته من احتيال غير سائغ في الوصول إلى الرزق.



المناقشة

س1 : ما موضوح مقامات بديع الزمان الهمذاني ؟ وما الهدف من كتابتها ؟

س2: تعرض هذه المقامة مثالاً من الحيل، فما الدافع لهذه الحيلة ؟ واذكر رأيك في هذا التصرف، مع التعليل.

س3 : في المقامة تصوير لجوانب من الحياة الاجتماعية في بغداد حينذاك ، فما الصّور التي نلمحها عن هذه ؟

س4 : أوضح معنى البيتين اللذين ختم بهما بديع الزمان مقامته.



الوحدة الثانية

- تمهيد: الحياة السياسية، والحياة الاجتماعية، الحياة العملية.
- المبحث الأول الشعر في الأندلس.
- المبحث الثاني: النثر في الأندلس
- ملحق البلاغة
- ملخص علوم البلاغة
- علم المعاني
- علم البيان
- علم البديع

الوحدة الثانية

الأدب في الأندلس

تمهيد

الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية

1ـ الحياة السياسية :

فتح المسلمون الأندلس[1] على يد طارق بن زياد سنة 92هـ ، وظلوا يحكمونها أكثر من ثمانية قرون حتى زال ملكهم سنة 898هـ ، وقد مر حكمهم بثلاثة عهود رئيسية : الأول : عهد الولاة من قبل الدولة الأموية في دمشق (92هـ / 138هـ) وهو عهد حروب وتأسيس ملك جديد في البلاد .

الثاني : العهد الأموي الذي أسسه عبد الرحمن الداخل (138هـ ـ/ 422هـ) وينقسم إلى قسمين :

عصر الإمارة المستقلة وظل مئة وثمانين عاماً ، وعصر الخلافة وظل مئتين وأربعين عاماً ، وكان هذا العهد عهد قوة ومنعة وازدهار وتطور، والثالث : عهد ملوك الطوائف (422هـ / 898 هـ) وفيه انقسمت الدولة إلى دويلات تتنازع ويفني بعضها بعضاً حتى انهار الحكم الإسلامي نهائياً ، وأشهر تلك الدويلات العامريون ، والجهوريون ، والموحدون ، والمرابطون ، وبنو الأحمر الذين سقطت الدولة الإسلامية في عصرهم .

2ـ الحياة الاجتماعية :

لقد أنشأ المسلمون في الأندلس حضارة رفيعة ومدنية راقية ، كانت مشعلاً أضاء الأندلس وما حولها ، فخرجت أوروبا من عصر الظلام والجهل والانحطاط الذي كانت تعيش فيه إلى عصر النور والعلم والتطور ، حتى لقد قال أحد مؤرخي أوروبا : ((إن لأوروبا أعظم الدين

---

[1] هي ما يُعْرَفُ الآن بأسبانيا والبرتغال .

لعبقرية المسلمين ، سواء في اللغة والأدب ، أو الفن والعمارة ، أو الحرف والصناعة ، أو العلم والفلسفة)) .

وقد كانت الأندلس ذات طبيعة خلابة ، بل هي من أجمل بقاع الأرض ، فهناك السهول الخضراء ، والجبال المكسوة بالأشجار ، والأنهار المتدفقة ، والمياه العذبة ، والنسيم العليل .

وعندما جاء المسلمون تفاعلوا مع تلك الطبيعة فبنوا القصور الفاخرة والمساجد الفخمة ، وشقوا الترع والطرقات ورصفوها وأناروها ، وزرعوا الحدائق بالثمار والأزهار ، وأقيمت القناطر والجسور فأصبحت الأندلس جنة الله في أرضه .

وقد امتزج العرب والبربر بسكان البلاد الأصليين ، وتفاعلوا معهم فتكون من ذلك شعب يميل إلى البساطة والتواضع والتسامح ، وحب العلم والثقافة ، والحرص على النظافة ، والتأنق في الملبس والمسكن ، كما امتاز بعلو الذوق ، ورقة الإحساس ، ودقة الإدراك ، وحسن التدبير . إلا أن المجتمع لم يخل من عوامل الضعف ومكونات الفساد ، فقد كان كثير منهم يميل إلى حياة الترف واللهو والغناء والرقص بسبب ضعف الإيمان ، فكان هذا الترف بالإضافة إلى التفكك والانقسام أهم أسباب سقوط الحكم الإسلامي في الأندلس .

3ـ الحياة العلمية :

انقضى عهد الولاة دون أثر يذكر في مجال الفكر ؛ لأنه كان عهد فتوحات وتوطيد لسلطان الإسلام ، وعندما جاء العهد الأموي عهد القوة والاستقرار أخذت أنوار العلم والفكر والثقافة تُشع ، مما جعل الأندلس منارا أضاء أوروبا الغارقة في الظلام ، وأخذ بيدها إلى حضارتها التي وصلت في العصر الحديث .

فقد شجع الأندلسيون العلم والعلماء ، وأرسلوا بعض طلبة العلم إلى المشرق لتلقي العلم والأدب ، كما عملوا على اجتذاب علماء المشرق إلى الأندلس لنشر العلم ، فهاجر إليها نخبة

منهم في شتى صنوف المعرفة ، وآثر أولئك العلماء البقاء في الأندلس لما رأوا من التقدير ووسائل الإغراء .

كما عملوا على جلب الكتب واستنساخها من المشرق ، فضلاً عن تشجيع العلماء والأدباء على التأليف . ولذا انتشرت المكتبات وأقبل الناس على اقتناء الكتب ، حتى لم يكد يخلو بيت منها ، وقد أنشأ الحكم بن عبد الرحمن الناصر مكتبة كبرى في قرطبة تعد من مفاخر الأندلس ، ومن أشهر المكتبات في العالم الإسلامي ، وبلغ عدد الكتب في إحدى المكتبات ست مئة ألف كتاب .

وقد كانت قرطبة وغرناطة وإشبيلية وطليطلة وسرقسطة وغيرها جامعات ينهل منها القاصي والداني ، العلم والفن ، وكانت هذه المدن مطمح طلاب العلم ، ومصدر الفكر والأدب ، والمركز الثقافي الذي يؤمه الأوروبيون ، حتى شهدت جميع العلوم تطوراً مذهلاً في علوم الدين ، واللغة ، والأدب ، والاجتماع ، والفلسفة ، والرياضيات ، والطب ، والفلك ، والكيمياء ، والفيزياء ، تركوا في ذلك آثاراً مكتوبة ضاع الكثير منها .

أما الأدب فقد تأثر بطبيعة البلاد ، وبجو الحرية والترف والعلم والتقدم والعمران ، فانطلق في رحاب جديدة شكلا ومضمونا ، بعد أن التزم في المرحلة الأولى تقليد الشعر القديم ، وأبدع الأندلسيون الموشحات واغتنى أدبهم بالمعاني الجميلة والصور المعبرة ، ولم تر أوروبا في عهودها حفاوة بالأدب وأهله كما رأت في الأندلس .

وقد لمعت أسماء كثير من المفكرين والأدباء أمثال الإمام ابن حزم المتوفى سنة 456هـ ، والمؤرخ ابن حيان المتوفى سنة 469هـ ، والأديب ابن زيدون المتوفى سنة 462هـ ، والمفسر القرطبي المتوفى سنة 516هـ ، والفيلسوف ابن رشد المتوفى سنة 594هـ ، وغيرهم .

وقصارى القول أن الأندلس كانت بحق مفخرة للدنيا في العلوم والفنون وأسباب المدنية جميعا ، وأنها كانت فردوسا لم تشهد قبله الأرض مثيلاً .

الشعر الأندلسي

تمهيد :

الشعر في الأندلس امتداد للشعر العربي في المشرق ، وقد مر الشعر الأندلسي بمرحلتين متباينتين وهما : مرحلة التقليد والمحاكاة ، ومرحلة التجديد والابتكار . فقد انقضى عهد الولاة والشعر يكاد يكون صورة لمثيله في المشرق الذي كان من أبرز أعلامه جرير والفرزدق ، إذ جاء الشعر مترسماً خطى الشعر العربي الأصيل ، ومحافظا على منهجه ، وطارقاً موضوعاته المعروفة وفنونه المختلفة .

فلما جاء العهد الأموي عهد الاستقرار والرخاء اختلف الوضع ، فقد توافر للشعراء من الأسباب ما حقق للشعر نهضته ، بداية من تشجيع الحكام للشعراء ورفع مكانتهم ، ومروراً باختلاط الشعراء مع غيرهم من أهل البلاد الأصليين وذوي الأجناس المختلفة ، وانتهاء بالنظر في مفاتن الطبيعة ومظاهر الحضارة ، فجاء الشعر جامعا بين الأصالة ورقة الحضارة ، وبين التقليد والتجديد .

أغراض الشعر الأندلسي :

خاض الشعراء الأندلسيون معظم الأغراض التي خاضها معاصروهم في المشرق ، فمدحوا وهجوا ورثوا وتغزلوا وافتخروا على طريقتهم تماماً ، إلا أنهم توسعوا في بعض الأغراض وتفوقوا فيها على شعراء المشرق كوصف الطبيعة ، والغزل ، والحنين إلى الوطن ، ورثاء المدن والممالك الزائلة .

ولو وزانا بين الشعر الأندلسي والشعر المشرقي في المدح والهجاء والرثاء مثلاً لوجدناها تسلك طريقة واحدة ، ولوجدنا الدواعي نفسها في كل منها، فكما عزز من مكانة المديح في

المشرق ضروب البطولة والفداء التي أبداها حكام المشرق وقواده مع الروم، عزز الفن نفسه في الأندلس بلاء رجاله وملوكه في عهود قوتهم في حرب الفرنجة .

وكذلك كان الحال في الدافع إلى الهجاء إذ عززه في الأندلس ما عززه في المشرق من فتن ونكبات وانقسامات ، وخاصة في عهد ملوك الطوائف . ولقد كان الهجاء أقرب إلى العتاب والتعريض ، وطابع النقد الاجتماعي والسياسي .

وكذا كان الرثاء ـ ولا سيما رثاء المدن والمماليك ـ إذ لا يبعد رثاء الأندلسيين لمثل قرطبة والحمراء عن رثاء المشارقة لبغداد ، ونحو ذلك من نكبات الحرب والسياسة التي توالت على أمة الإسلام .

وسنقف هنا وقفة قصيرة عند الأغراض التي توسع فيها الشعراء الأندلسيون وهي : وصف الطبيعة ، والحنين إلى الوطن ، ورثاء المدن .

1ـ وصف الطبيعة :

تفوَّق الأندلسيون في ميدان وصف الطبيعة على شعراء المشرق ، وأتوا بالروائع الخالدة ؛ لما وهبهم الله من طبيعة ساحرة خلابة ، فقد كانت الأندلس من أغنى بقاع الدنيا منظراً وأوفرِها جمالاً ، ولذا شُغِف الأندلسيون بها ، فأقبلوا يسرحون النظر في خمائلها ، ويستمتعون بمفاتنها ، فوصفوا الرياض والبساتين ، والأشجار والثمار ، والأزهار والطيور ، ووصفوا السَّحاب والرعد ، والبرق وقوس قُزَح ، والأنهار والبحار ، وقد وصفها ابن خَفَاجة بقوله :

يَـا أَهْـلَ أَنْـدَلُسٍ للهِ دَرُّكُـمُ   مَـاءٌ وظِـلٌ وأشْـجَارٌ وأنْهَـارُ

وإلى جانب وصفهم المناظرَ الطبيعية وصفوا مظاهر الحضارة ، كالقصور البديعة ، والمساجد الفاخرة ، والجسور والقناطر ، والحدائق ، وغيرها من روائع العمران ، كقول يحيى هُذيل يصف الزهراء :

كـأنَّ سَـوَرِيهَا شَـكَتْ فَـتْرَةَ الضَّـنَى   فَبَاتَـتْ هَضِـيمَاتِ الحَشَـا نُحَّـلًا صُـفْرًا

كـأنَّ النَّخِيـلَ البَاسِـقَاتِ إلى العُـلَا عَـذَارَى حِجَـالٍ رَجَّلَـتْ لِمَّا شُـقْرَا

وقد امتاز وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي بتشخيص الأمور المعنوية وتجسيدها وبث الحياة والحركة في الجمادات ، كما امتاز بمزج مظاهر الطبيعة بمفاتن الحياة الحضرية المُتْرَفَة .

2ـ **الحنين إلى الوطن :**

ظلَّ الأندلسيون مشدودين إلى وطنهم الأول في المشرق ، تستبكيهم ذكراه ، وتحن نفوسهم إلى ربوعه ورباه ، ولطالما عبروا بصدق وحرارة عما يخالج نفوسهم من شوق وحنين . ولكنهم لم يلبثوا أن فتنوا ببلادهم الجديدة الأندلس ، فأحبوها من أعماقهم ، فإذا رحل أحدهم إلى المشرق للحج أو للعلم لا يلبث أن يعود سريعا ، وهو غاية الشوق والحنين ، ومن أمثلة هذا النوع من الشعر قول عبد الرحمن الداخل يحن إلى المشرق وأهله في الشام :

أَيُّهَـــا الرَّاكِـــبُ المُـــيَمِّمُ أرْضِي أَقْـرِ مِـنْ بَعْـضِيَ السَّـلامَ لِبَعْـضِي

إنَّ جِسْـــمِي كَـــمَا تَـــرَاهُ بِـــأرْضٍ وفُـــؤَادِي ومَالِـكِيـــهِ بـــأرْضِ

قُـــدِّرَ البَـــيْنُ بَيْنَنَـــا فَـــافْتَرَقْنَا وطَـوَى البَـيْنَ عَـنْ جُفُـونِيَ غَمْـضِي

قَـــدْ قَضَـى الله بالبِعَـــادِ عَلَيْنَـــا فَعَسَـى باقْتِـــرَابِنَا سَـوْفَ يَـــقْضِي

وأهم المعاني التي يدور حولها شعر الحنين هي الشوق إلى الأوطان ، والتجارب الذاتية في ديار الغربة ، وذكر أيام وعهود السعادة في تلك الأوطان .

3ـ **رثاء المدن والممالك :**

النكبات التي حَلَّت بالمسلمين في الأندلس ، والصراع المرير بينهم وبين الأعداء ، وما انتهت إليه مدنهم وحضارتهم من دمار شامل وسقوط مريع في أيدي الأعداء ؛ كل ذلك أدى إلى أن يتفاعل الشعراء مع أحداث بلدهم ، وأن يبدعوا فيما عرف باسم (رثاء المدن).

فهذا ابن شهيد يقول في رثاء قرطبة :

فَلِمِثْـلِ قُرْطُبَـةٍ يَقِـلُّ بُكَـاءُ مَـنْ يَبْكِـــيْ بِعَـــيْنٍ دَمْعُهَـــا مُتَفَجِّـــرُ

عَهْدِي بِهَا والشَّمْلُ فِيهَا جَامِعٌ ... مِـنْ أَهْلِهَـا والعَـيْشُ فِيْهَـا أَخْضَرُ

يَـا جَنَّـةً عَصَـفَتْ بِهَـا وبِأَهْلِهَـا ... رِيـحُ النَّـوَى فَتَـدَمَّرَتْ وتَـدَمَّرُوا

آسَـى عَلَيْـكِ مِـنَ المَمَاتِ وحُـقَّ لِي ... إذْ لَمْ نَـزَلْ بِـكِ فِي حَيَاتِـكِ نَفْخَـرُ

وقد كانت بدايات هذا النوع من الشعر تتمثل في رثاء المدن ، ثم رثاء الممالك ، ثم رثاء الأندلس كلها بعد أن سقطت أو أوشكت على السقوط ، ومن الأخير قصيدة أبي البقاء الرندي المشهورة التي يقول فيها :

لِكُـلِّ شَيءٍ إذا مَـا تَـمَّ نُقْصَـانُ ... فَلَا يُغَرَّ بِطِيبِ العَيْشِ إنْسَانُ

هِـيَ الأمُـورُ كَـمَا شَـاهَدْتَهَا دُوَلٌ ... مَـنْ سَرَّه زَمَـنٌ سَـاءَتْه أَزْمَـانُ

والقصيدة في غاية الروعة والتأثير ، ولروعتها أخذت الأجيال التالية تزيد عليها أبياتا تندب بها البلاد بعد سقوطها .

ويمتاز هذا النوع من الشعر بصدق العاطفة ، وعمق الشعور بالأسى والحزن والمرارة ، والتصوير الواقعي لحال المسلمين ، وما صاروا إليه من تناحر واقتتال وتحالف مع الأعداء ضد بعضهم ، كما يمتاز بالحكمة الصادقة النابعة من التجارب المريرة ، والدراسة الواقعية لأسباب الهزائم المتمثلة في الميل إلى الترف واللهو والتعاون مع الأعداء .



المناقشة

س1: ما أهم الأغراض الشعرية التي برع فيها الأندلسيون؟ اذكرها، ثم مثل لكل منها بأبيات من الشعر.

س2: بماذا امتاز وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي؟

س3: ما المعاني التي يدور حولها شعر الحنين؟

س4: ما الذي امتاز به غرض رثاء المدن عن غيره من الأغراض؟



نماذج من الشعر الأندلسي

التعريف بالشاعر والمناسبة

ابن سفر المريني هو أبو الحسن محمد بن سفر ، من شعراء عصر الموحدين في المائة السادسة ، وهو شاعر المرية (بشرقي الأندلس) ، حيث نشأ وترعرع وأكثر شعره في وصف الطبيعة ، قال عنه المقري التلمساني في كتابه ((نفح الطيب)) : ((أحد الشعراء المتأخرين عصر المتقدمين قدراً ، والإحسان له عادة)).

والنص الذي أمامنا هو إحدى روائعه في وصف مغاني الأندلس ، وما تتميز به من جمال أخاذ ، وطبيعة ساحرة ، دفعته إلى التعبير عن ذلك الشعور المبهج الذي يختلج في صدره بقصيدة لا تقل جمالا عما وصف.

1- ابن سفر المريني يصف الأندلس

النص :

1- في أرْضِ أنْدَلُسٍ تَـلْتَذُّ نَعْمَـاءُ ... ولَا يُـفَارِقُ فِيهَـا القَـلْبَ سَـرَّاءُ

2- أنْهَارُهَا فِضَّـةٌ، والمِسْكُ تُرْبَتُها ... والخَـزُّ رَوْضَـتُها، والـدُّرُّ حَصْـبَاءُ

3- ولِلْهَـواءِ بِـهَا لُـطْفٌ يَرِقُّ بِهِ ... مَـنْ لا يَـرِقُّ، وتَبْـدُو مِنْـهُ أهْـوَاءُ

4- ليسَ النَّسِيمُ الذي يَهْفُو بها سَحَرًا ... ولا انْتِشَـارُ لآلـيْ الطَّـلِّ أنْـدَاءُ

5- وإنَّـمَا أرَجُ النَّـدِّ اسْتَشَـارَ بِهَا ... في مَـاءِ وَرْدٍ فَطَابَـتْ منـهُ أرْجَـاءُ

6- وأيْـنُ يَبْـلُغُ مِـنْهَا مَـا أُصَنِّفُهُ ؟ ... وكَيْـفَ يَحْـوِي الـذِي حَازَتْـهُ إحْصَـاءُ ؟

7- قَدْ مُيِّزَتْ من جِهَاتِ الأرْضِ حِينَ بَدَتْ ... فَـرِيدَةً وتَـوَلَّـى مَيْزَهـا المَـاءُ

8- دَارَتْ عَلَيْهَا نِطَاقًا أبْحُرٌ خَفَقَتْ ... وَجْـدًا بِهَـا إذ تَبَـدَّتْ وهْـيَ حَسْـناءُ

9ـ لِذَاكَ يَبْسُمُ فِيهَا الزَّهْرُ مِنْ طَرَبٍ   والطَّيْرُ يَشْدُو ولِلأَغْصَانِ إصْغَاءُ

10ـ فِيهَا خَلَعْتُ عِذَارِي مَا بِهَا عِوَضٌ   فَهْيَ الرياضُ، وكُلُّ الأرضِ صَحْرَاءُ

الشرح :

إن بلاد كالأندلس رياض وأنهار ، وجداول وأشجار ، وبساتين وظلال ، وهواء لطيف وخصب ونماء ، لمَّا يملك على الشاعر لبه ، ويذكي فكره ، ويرقق شعوره ، فتراه يغدو أو يروح شاديا ، يتغنى بحب تلك البلاد وطبيعتها الساحرة ، ومناظرها الخلابة .

وابن سفر لا يبعد عما قلناه ، وهو هنا يصف الأندلس بأنها أرض تطيب فيه النعم ، ويدوم السرور ؛ لما لا ؟ وهي ذات أنهار كالفضة ، وتربة كالمسك ، وروضة كالحرير ، وحصى كالدر ، وهواء عليل يرق بفضله جافي الطبع ، الغليظ الخشن . ومن إحساسه المرهف بهذا الجمال ، لا يرى النسيم الذي يهب فيها هواء ، وليست قطرات الطل ندى ، وإنما هو طيب توهجت رائحته واختلطت بعبير ماء الورد فتعطرت منه الأجواء.

ويتوقف الشاعر ، وكأنه يحس بعجز بيانه ، وقصور عبارته ، عن وصف محاسن الأندلس فيقول : إن ما أصنفه لا يعطي الصورة الكاملة عنها ؛ لأنها ذات مزايا لا أستطيع إحصائها وأهم تلك المزايا موقعها الفريد ، حيث تحيط بها البحار وهي تخفق حبا بتلك الحسناء ، وبسبب هذا الجمال أصبح الزهر يبتسم فيها طربا ، والطير يشدو فرحاً ، والأغصان تصغي إعجاباً . ولا عجب إن استقررت فيها ، فهي وحدها الرياض ، وما عداها من بقاع الأرض صحارى قاحلة ، لا يطيب فيها عيش ، ولا يهنأ فيها بال .

التعليق

إن المريني شاعر وصَّاف ، وهو هنا يصف الأندلس ، وأهم متطلَّبات الوصف قوة الملاحظة ودقَّة التصوير ، وقد حاول الشاعر أن يلجأ إليهما ، إلا أنه تفاجأ بأن ما يريد وصفه ليس بستانًا أو حديقة وإنما هو بلد مترامي الأطراف ، لا تستطيع العبارات تصوير جماله ، وإبراز

محاسنه ، ولذا تحوَّل إلى الأوصاف العامة كوصف موقعها ، ومائها ، وتربتها ، وهوائها ... ولا نستطيع ـ مع ذلك ـ إلا أن نقول : إنه جعلنا نحسُّ وكأننا أمام ـ بل وسط ـ تلك البلاد .

وقد تعاطف الشاعر مع الطبيعة ، وبثَّ فيها مشاعره ، ومزج وصفه إيَّاها بمفاتن الحياة الحضرية المترفة ، فجاءت قصيدة متَّسمة بأبرز خصائص الشعر الأندلسي من عذوبة اللفظ ، وروعة التصوير ، وحسن الجرْس ، وجمال الصياغة . وننظر إلى قوله :

أَنْهَارُهَا فِضَّةٌ ، والمِسْكُ تُرْبَتُهَا   والخَزُّ روضتها ، والدر حصباء

فنجد رشاقة في الألفاظ ، حيث الألفاظ الحضرية المستمدة من مادة الترف والثراء : (فضة ، مسك ، الخز ، الدر) ، كما نجد روعة في التصوير ، حيث اشتمل على أربع صور جميلة ، ونجد أيضاً حسن الجرس ، وجمال الصياغة ، حيث الجمل القصيرة المتسلسلة ، والمتوازنة بشكل بديع . ولعلنا نتوقف عند ذاك التصوير المؤثر في البيت الثامن حيث صور البحار بصورة المحب المتيم الذي يخفق قلبه بحب معشوقته وهي هنا الأندلس . وأخيرا ننظر إلى التشخيص الرائع في قوله :

لذاك يبسم فيها الزهر من طرب   والطير يشدو وللأغصان إصغاء

فهو تشخيص يعطي صورة متكاملة عن ذلك الجو البديع ، الذي يفيض بالبهجة والسرور ، فالزهر يبتسم ، والطير يشدو ، والأغصان تصغي ، إلى غير ذلك مما يبعث في النفس المرح والسعادة .

إن هذه القصيدة إحدى الروائع التي خلفها لنا أحد الشعراء الأندلسيين ، الذين وصفوا طبيعتهم ، وشخصوا مظاهرها ، واستنطقوا مختلف مشاهدها ، وتعاطفوا معها تعاطفا جعلهم لا ينسون ذكرها في مختلف أغراض شعرهم .

❁❁❁❁❁❁

المناقشة

س1 : تحت أي غرض من أغراض الشعر تندرج هذه الأبيات ؟ ولماذا تفوق الأندلسيون فيه ؟

س2 : ما لون عاطفة الشاعر في هذه الأبيات ؟ وهل هو صادق فيما يصور ؟

س3 : في أحد الأبيات أربع صور خيالية جميلة . اذكر البيت وأوضح الصور .

س4 : هل استطاع الشاعر تصوير كل ما وقعت عليه عينه أم لا ؟ ولماذا ؟ (أجب من البيت السادس) .

س5 : ما النسيم ؟ وما الندى في نظر الشاعر ؟ ولم صورهما بتلك الصورة ؟

س6 : إذا قلنا : إن في البيت التاسع تشخيصًا ؛ فماذا نعني بالتشخيص ؟ وأين موضعه في البيت؟

س7 : في أحد أبيات القصيدة يجمل الشاعر حالة العيش في الأندلس ، وفي بيت آخر يبين أنه لن يرضى بها بديلا . حدد البيتين واشرحهما معا بأسلوب أدبي .

س8 : تحدث عن ألفاظ الشاعر في هذه الأبيات ، مع التمثيل .



2-ابن الأبار القضاعي يرثي الأندلس

التعريف بالشاعر والمناسبة :

ابن الأبار هو محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ، ولد في بلنسية سنة 595هـ ، كان عالما في الفقه والحديث ، بصيرا بالرجال والتاريخ ، مجيدا في البلاغة والإنشاء ، عمل في دواوين الكتابة لبعض ولاة الموحدين ، وعندما سقطت بلنسية في أيدي النصارى زهد في المقام بالأندلس ، فسافر منها إلى المغرب ، ثم إلى تونس ، حيث عمل كاتبا لأميرها ، و بها قتل سنة 658هـ بعد أن دبرت له مؤامرة دنيئة ، فمات مظلوماً مأسوفًا عليه من معاصريه ومن جاء بعدهم .

وقد نظم ابن الأبار هذه القصيدة أثناء محاصرة النصارى لمدينته بلنسية ، حيث أرسله أميرها إلى أبي زكريا يحيى بن حفص أمير تونس على رأس وفد لطلب المعونة ، وعندما مثل بين يديه أنشده هذه القصيدة يستصرخه فيها لإنقاذ بلنسية والأندلس ، فجهز له أسطولا محملا بالمؤن والأسلحة ، غير أن الحصار الشديد الذي فرضه النصارى عليها لم يسمح له بإيصال ما كان يحمل ، وعندها استسلمت بلنسية وسقطت في أيدي النصارى سنة 636هـ .

النص :

1ـ أدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلِ اللّـهِ أَنْدَلُسَـا — إِنَّ السَّـبِيل إِلَى مَنْجَاتِـــهَا دَرَسَـــا

2ـ وَهَبْ لهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا الْتَمَسَـتْ — فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عِزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسَـا

3ـ يَا لَلْجَزِيـرَةِ أضْحَى أهلُهَا جَزَرًا — لِلْحَادِثَـاتِ ، وأَمْسَـى جَدُّهَا تَعِسَـا

4ـ فَفِـي بَلَنْسِيَّـــةٍ مِنْهَـــا وقُرْطُبَـــةٍ — مَا يَنْسِفُ النَّفْسَ أومَا يَنْزِفُ النَفَسَـا

5ـ مَدَائِنٌ حَلَّهَـا الإِشْرَاكُ مُبْتَسِمًـا — جَـذْلَانَ ، وارْتَحَـلَ الإيمَـانُ مُبْتَئِسَـا

6ـ وَصَـيَّرَتْهَا العَـوَادِي العَابِثَـاتُ بِهَـا — يَسْتَوحِشُ الطَّرْفُ منْهَا ضِعْفَ مَا أَنِسَا

7ـ يالَلْـمَسَاجِدِ عادَتْ لِلعِدا بِيعًا   وللنِّـدَاءِ غَـدَا أَثْـنَاءَهَـا جَرَسَـا

8ـ لَهَفِـي عَلَيهَـا إِلَى اسْـتِرْجَاعِ فَائِتِهَـا   مَدَارِسًـا لِلْمثَـانِي أصْبَحَـتْ دُرُسَـا

9ـ يـا أيُّهَـا المَلِـكُ المَنصُـورُ أنْـتَ لَهَـا   عَلْيَـاءُ تُوسِـعُ أعْـدَاءَ الهُـدُى تَعَسَـا

10ـ وقَـدْ تَـوَاتَرَتِ الأنْبَـاءُ أنَّـك مَـنْ   يُحْيِـي بِقَتْـلِ مُلُـوكِ الصُّـفْرِ أنْدَلُسُـا

11ـ طَهِّرْ بِـلَادَك مِـنْهُمْ إِنَّهُـمْ نَجَسٌ   ولا طَهَـارَة مَالَـم تَغْسِـلِ النَّجَسَـا

12ـ وامْلأ ـ هَنيئًا لَـكَ التَّأييدُ ـ سَاحَتَها   جُـرَدًا سَـلَاهِبَ أو خَطيَّـةً دُعُسَـا

13ـ واضْرِبْ لَهُـمْ مَوْعِـدًا بـالفَتْحِ تَرْقُبُـه   لَعَـلَّ يَـوْم الأعَـادي قَـدْ أتـى وَعَسَـى

معاني المفردات

(1)دَرَسا : أخلق وتقادم عهده .

(3)جزرا : قطعا وذبائح . جدها : حظها . تعسا : السقوط والانحطاط.

(4)ينسف النفس : يقضي عليها، وينزف النفس : ينهيه ويقطعه .

(5)جذلان : فرحان .

(6)العوادي : النوائب . الطرف : العين.

(7)بيعا : كنائس . النداء : الأذان . جرسا : أي النواقيس .

(8)لهفي : كلمة يتحسر بها على فائت .

(9) المثاني : آيات القرآن.

(10)تواترات : تتابعت . ملوك الصفر : ملوك الروم النصارى .

(12)جردا: خيلا سابقة . (13) سلاهب : عادية .

(14) خطية : رماح . (15) دعسا : الطاعة التي لا تنثني لقوتها.

الشرح :

يخاطب ابن الأبار أبا زكريا أمير تونس فيقول : أدرك الأندلس بخيلك خيل الدين الحنيف ، وهب لها النصر العزيز الذي ينتظر منك ، فقد تعس حظها وأصبح أهلها جزرا لسيوف النصارى ، وإن ما حدث لقرطبة ويوشك أن يحدث لبلنسية ، لمما يروع النفوس ويخنق الأنفاس ، إذ أصبحت تلك المدن موطناً للكفر وأهله ، بعد أن فارقها المسلمون بؤساء حزينين ، حيث فارقها الأنس والسرور ، وحلها الخوف والذعر ، بعد أن حول النصارى مساجدها إلى كنائس ، وغدا الأذان والنداء للصلاة أجراسا لنواقيس النصارى ، ويتحسر الشاعر على ما كان لها من ماض زاهر ، حيث كانت تتردد في جنباتها آيات القرآن تلاوة ودراسة .

ويعود الشاعر إلى خطاب أبي زكريا ، بعد أن استنهض همته وحميته للدفاع عن الإسلام وموطنه فيقول : إن ذلك الحدث ليس له إلا أنت ، ولن يردع أعداء الإسلام ويوسعهم خسارة وذلا غيرك ، فقد أجمعت الآراء على أن الأندلس لن تحيا وتعود إلا بقتلك أعدائها ملوك النصارى ، فهم نجاسة ينبغي أن تطهر بلادك منها بما تسفك من دمائهم ، إذ لا طهارة ما لم تغسل النجاسة وتزل أثرها ، فاملأ الأرض وساحتها بخيلك وأسلحتك القاضية ، وحدد لهم موعدا تسترد فيه ما سقط في أيديهم ، فلعل يومهم أن يأتي ، وعسى أن يكون قد اقترب .

التعليق

لقد كانت هذه القصيدة ذات نزعة دينية قوية ، تدفعها عاطفة حزينة مفجوعة على ما آلت إليه أوضاع المسلمين في الأندلس ، ولذا فقد أثرت القصيدة أبا زكريا ، وملأت قلبه حفيظة وموجدة وحمية ، فأمر– كما أسلفنا– بإعداد العدة لمساعدة بلنسية .

وإذا أمعنا النظر في القصيدة وجدنا الشاعر قد وفق إلى حد بعيد في التعبير عن حالة الجزع والأسى التي تحبيش في نفسه ، وتتلجلج في خاطره ، حيث جاءت ألفاظه موحية بالغرض الذي يريد ، ومتلائمة مع المعنى ، فالرقة ، والقوة معا تتمثلان في هذه الأبيات ، إذ نجد الشاعر يختار

الألفاظ الرقيقة السهلة عند حديثه عن حالة الأندلس ، وما صارت إليه من خراب ودمار ، وذلك في الأبيات الأولى (1ـ8) فالكلمات مليئة بالصفير (السين ، الصاد ، الزاي) التي تشع معاني لا حصر لها ، وتعطي جرساً موسيقيا بالغ الأثر ، كما في البيت الثاني ، حسبنا أن نقرأ الشرط الثاني من البيت الرابع لندرك مصداقية ذلك ، حيث أجاد الشاعر في اختيار الكلمات الدقيقة التي صوّرت مشاعره النفسية تجاه ما حدث ، ثم ننظر إلى كلمة (لهفي) في البيت الثامن وكيف وظفها الشاعر للتعبير عن المعنى الأسف والتحسر . أما الألفاظ القوية الجزلة فنجدها في بقية الأبيات (9ـ13) ، حيث أراد الشاعر أن يعبر عن معاني القوة والعزة لاستثارة حمية أبي زكريا ؛ لكي ينهض لدفاع عن الإسلام والمسلمين .

أما الصور والأخيلة فلم تحفل القصيدة بالكثير منها ، ويبدو أن الشاعر نظم قصيدته بعفوية وتلقائية متناهية ، فلم تدع له مجالا للتصنع و اجتلاب الصورة ، وتظهر هذه التلقائية الرائعة في مطلع القصيدة وفي صدر البيت التاسع ، ومع هذا فلم تخل القصيدة من الصور الجميلة ، كما في البيت الخامس ، الذي زاده جمالا المقابلة بين حلول الشرك وابتسامه ، وارتحال الإيمان وابتئاسه .

كما في البيت العاشر عندما جعل قتل النصارى حياة للأندلس ، والبيت الحادي عشر عندما جعل وجود النصارى في الأندلس نجاسة يجب أن تغسل ويزال أثرها بما يسفك من الدماء .



المناقشة

س1 : ما الظروف التي دفعت الشاعر إلى نظم قصيدته ؟

س2 : تلقائية التعبير في مطلع القصيدة مناسب للمقام أم لا ؟ ولماذا ؟

س3 : (يا للجزيرة / يا للمساجد) ما نوع هذا الأسلوب ؟

س4 : ضع كلمة (ينزع) مكان كلمة (ينسف) في البيت الرابع ، وأوضح أيهما أفضل ؟ ولماذا ؟

س5 : اشرح الصور الشعرية الواردة في البيت الخامس ، مع توضيح الفن البديعي الذي اشتمل عليه .

س6 : هل من الممكن أن يكون القتل سبيلاً إلى الحياة ؟ أجب من واقع النص الذي أمامك.

س7 : في القصيدة بيت يحث فيه الشاعر على إعداد العدة للدفاع عن الأندلس . حدد البيت ، واشرحه شرحاً أدبياً .

س8 : تحدث عن عاطفة الشاعر في هذه الأبيات .



5ـ ابن خفاجة يصف الجبل

التعريف بالشاعر والمناسبة

هو أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة ، ولد سنة 450هـ في بلدة ((شقر)) وهي مدينة منعزلة في شرقي الأندلس ، تحيط بها المياه من جميع الجهات وتشتهر بجمال طبيعتها ، وسافر إلى ((عدوة)) في المغرب ، ولكنه سرعان ما عاد إلى وطنه الجميل الذي هام بحبه .

عاش ابن خفاجة حياة هادئة ، منقطعا لحياة الترف واللهو ، ولم يتول عملاً من الأعمال ، وإنما فرغ نفسه للشعر ، ولذا لم يشارك في أحداث السياسة في عصره الزاخر بالتقلبات السياسية وهو عصر ملوك الطوائف . وقد عاش حياة طويلة حتى توفي في بلدته سنة 533هـ بعد حياة حافلة بالترف وقول الشعر .

وقد اشتهر ابن خفاجة بوصف الطبيعة ، حيث تناول جميع مظاهرها ، لأجل هذا سمي بـ ((الشاعر البستاني)) وكانت طبيعته التي تستجيب لمظاهر الجمال في الحياة هي التي فرضت شخصيتها على شعره ، كما كان لنشأته المترفة وجمال بلدته أثر في تغذية خياله ، وتكوين تأملاته ، فانطلق يصف الطبيعة حية وجامدة حتى لقب بـ ((صنوبري الأندلس)) ليقابل صنوبري المشرق الذي شابهه في شعره واهتماماته .

كان ابن خفاجة ـ كما علمت ـ شاعر الطبيعة ، يصف معالمها ، ويستوحي من مشاهدها نظراته وتأملاته في الحياة ، وقد دبج هذه القصيدة في الاعتبار ووصف الجبل و مناجاته على نسق جديد ، فقد أشرك النفس الإنسانية بسر الطبيعة ، وهو ما يسمى بـ((حس الطبيعة)) .

النص:

1ـ وأرْعَنَ طَمَّاحِ الذُّؤابَة بَاذخٍ ... يُطَاوِلُ أعْنَانَ السَّمَاءِ بِغَارِبِ

2ـ يَسُدُّ مَهَبَّ الرِّيحِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ ... ويَزْحَمُ لَيْلًا شُهْبَهُ بالمَنَاكِبِ

3ـ وَقَورٍ عَلَى ظَهْرِ الفَلَاةِ كَأَنَّهُ ... طَوَالَ الليَالِي مُفْكِرٌ بِالعَوَاقِبِ

4ـ يلُوثُ عَلَيهِ الغَيْمُ سُودَ عَمائمٍ	لَهَا مِنْ وَمِيضِ البَرْقِ حُمْرُ ذَوَائِبِ
5ـ أَصَخْتُ إِلَيْهِ وهْوَ أخْرَسُ صَامِتٌ	فَحَدَّثَنِي لَيْلَ السُّرَى بِالعَجَائبِ
6ـ وقَالَ أَلَا كَمْ كُنْتُ مَلْجَأَ قَاتِلٍ	ومَوْطِنَ أَوَّاهٍ تَبَتَّلَ تَائبِ
7ـ وَكَمْ مَرَّ بِي مِنْ مُدْلِجٍ ومُؤَوِّبٍ	وقَالَ بِظِلِّي مِنْ مَطِيٍّ ورَاكِبِ
8ـ فَمَا كَانَ إلَّا أنْ طِوتْهُمْ يَدُ الرَّدَى	وطَارَتْ بِهِمْ رِيحُ النَّوى والنَّوَائِبِ
9ـ فَحتَّى متَى أَبْقَى وَيظْعَنُ صَاحِبٌ	أُوَدِّعُ مِنْهُ رَاحِلًا غَيْرَ آيِبِ
10ـ وَحَتَّى مَتَى أَرْعَى الكَواكِبَ سَاهِرًا	فَمِنْ طَالِعٍ أُخْرَى اللَّيَالِي وغَارِبِ

معاني المفردات:

(1)أرعن : مرتفع . بادخ : عال . طماح الذؤابة : شديد علوِّ القمة . الغارب : الكاهل.

(3)وقور : من الوقار ، وهو الرزانة . الفلاة : الصحراء الواسعة .

(4)يلوث : يلف . وميض البرق : إشاعه . ذوائب : أطراف الشعر من مقدمة الرأس .

(5)أصخت : استمعت . السرى : السير ليلاً.

(6)أواه : تائب . تبتل : انقطع للعبادة.

(7)مدلج : من يسير في الظلام . مؤوب : من الإياب وهو الرجوع . قال : نام وقت القيلولة.

(8)طوتهم : أخفتهم والمراد أماتتهم . الردى : الموت . النوى : الفراق النوائب : المصائب .

(9)يظعن : يرحل . آيب : راجع .

(10)أرعى الكواكب : أراعيها وأساهرها .

الشرح :

يتحدث ابن خفاجة في هذا النص عن جبل عالي القمة ، يطاول السماء بكاهله ويحول دون سير الريح وهبوبها ، ويزاحم الكواكب بمناكبه ، ويصف هذا الجبل بأنه وقور على ظهر

الصحراء كأنما يفكر في العواقب ، وأن السحب قد ارتطمت به فلفت على قمته عمامة سوداء لها ذوائب حمر من وميض البرق ، ثم يسرد علينا الشاعر الحوار الطريف الذي دار بينه وبين الجبل ، وأنه حدثه بالعجائب ، وقص عليه قصصا غريبة ، وذكر بين يديه أخبار من التجؤوا إليه من القتلة ، والعباد التائبين ، والمسافرين ، ويذكر مصيرهم الذي آلوا إليه وهو الموت ، فيبكي عليهم ويندب حاله بعدهم ، فيعبر عن ضيقه من الحياة وطول البقاء ، الذي ليس وراءه سوى الأسى على فراق الأحبة ، وتوديع الأخلاء إلى غير رجعة .

التعليق:

تمثل هذه القصيدة تجربة نفسية عاناها الشاعر فنقلها إلينا في هذه الأبيات ، وترجمها بصدق منقطع النظير ، فنحن نحسُّ أن الشاعر يعبر عن نفسه في هذه الأبيات ، فالجبل مثله محزون لما يرى من مصير الناس جميعا صالحين وطالحين إلى الموت والفناء وفقدان الحياة ، وهو مثله أيضاً يستطيع البقاء بعد رحيل كل الصحاب ، ولذا فهو ينتظر نهاية الرحلة بعد أن عاش ثمانين عاما سئم فيها تكاليف الحياة .

وقد وفق الشاعر في اختيار الأسلوب الذي يعبر به عن تلك التجربة التي مر بها ، فهو عندما أراد أن يصف الجبل وشموخه أختار ألفاظا قوية مثل : (أرْعن ، طماح ، باذخ ، المناكب ، وقور) ولعل هذه الألفاظ الجزلة تناسب ذلك الجبل المشمخر ، أما عندما أراد أن يعبر عن حزنه وألمه لمصير الناس اختار الألفاظ الرقيقة والعبارات العذبة ، ولعلنا ندرك ذلك بوضوح في الأبيات الثلاثة الأخيرة .

أما الخيال فقد بلغ الشاعر الذروة فيه ، فالقصيدة ـ برمتها ـ تمثل صورة خيالية ، فلا يكاد يخلو بيت فيها من الصور البيانية الرائعة ، التي تسترعي الأنظار ، وتستلفت الخواطر بأناقتها وجمالها ، وحسبنا أن ننظر إلى البيت الثالث :

وَقَــورٍ عَــلَى ظَهْــرِ الفَــلَاةِ كَأَنَّـــهُ   طَــوَالَ اللَيَـــالِي مُفْكِـــرٌ بِالــــعَواقِبِ

فهو يوحي لك بمنظر شيخ هرم جلس يفكر في الأيام التي مرت ، والأحداث الذي جرت وإن شئنا أيضاً فلننظر إلى قوله :

يلُــوثُ عَلَيــهِ الغَــيْمُ سُــودَ عَمَائــمٍ لَهَــا مِــنْ وَمِـيضِ الـبَرْقِ حُمْـرُ ذَوَائِـبِ

فقد جعل السحب التي تحيط بقمة الجبل كعمامة سوداء لها ذوائب حمر من وميض البرق .

كما استعان الشاعر ببعض ألوان البديع لتوضيح معانيه ، وإعطاء أسلوبه سيئا من الجمال والإيقاع الموسيقي كالطباق في قوله : (سود عمائم ، وحمر ذوائب) و (أبقى ، يظعن) و (طالع ، وغارب) أو الجناس في قوله : (النوى ، والنوائب) ، و (حتى ، متى) ...

وبعد ، فإن القصيدة تعد من عيون الشعر العربي لما فيها من جدة الفكرة ، وجمال الأسلوب ، وروعة التصوير ، ولما فيها من تأمل في مظاهر الكون ، واعتبار بأحداث الدنيا .



المناقشة

س1 : كيف كانت حيلة ابن خفاجة ؟ وما أثرها في شعره ؟

س2 : سمي ابن خفاجة بـ ((الشاعر البستاني)) ، ولقب بـ ((صنوبري الأندلس)) . فما العلة في ذلك ؟

س3 : فرضت طبيعة ابن خفاجة ـ التي تستجيب لمظاهر الجمال ـ شخصيتها على شعره . اشرح هذا القول .

س4 : ما غرض ابن خفاجة من وصف الجبل ؟

س5 : بالغ ابن خفاجة في وصف ارتفاع الجبل . فكيف تم له ذلك ؟

س6 : ما المنظر الذي يتراءى لنا عندما نقرأ البيت الثالث ؟

س7 : اشرح الصور الشعرية الواردة في البيت الرابع وبين رأيك فيها .

س8 : ما الشعور المشترك الذي يجمع بين الشاعر والجبل ؟

س9 : في البيت الثامن لون من ألوان البيان ، وآخر من ألوان البديع . وضحهما ، مع بيان أثرهما في الأسلوب .

س10 : انثر الحوار الذي دار بين الشاعر والجبل بأسلوب أدبي .



النثر الأندلسي

1ـ النثر الأدبي :

نلاحظ حين نتتبع تطور النثر الأدبي في الأندلس أنه كان خلال عصر الولاة مرتبطاً بظروف مرحلة الفتح ، وهي مرحلة غير مستقرة سياسياً ، فالخطابة ضرورة تقتضيها ظروف الحرب والمناسبات السياسية والدينية المختلفة ، والكتابة كانت ضرورةً أيضاً تقتضيها ظروف الفتح والحكم وتيسير الشؤون ، وقد حفظت لنا المصادر التاريخية أسماء بعض كتاب هذه الفترة مثل : خالد بن يزيد الذي كان كاتبا ليوسف الفهري أحد ولاة الأندلس ، وأمية بن يزيد الذي دخل الأندلس مع جيش من جيوش المسلمين ، واتصل بخالد وجعله كاتبا معه .

وربما كانت من أوثق الرسائل التي وصلت إلينا تلك الرسالة التي أرسلها عبد العزيز بن موسى بن نصير كعهد لأحد حكام القوط ويسمى ((تودمير)) وجاء فيها : ((بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد العزيز إلى تُودْمِيرِ ، إنه نزل على الصلح وإنه له عهد الله وذمته ، ألا ينزع عن ملكه ، ولا أحد من النصارى عن أملاكه ، وأنهم لا يقتلون ولا يسبون أولادهم ونساءهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا تحرق كنائسهم وأنه لا يؤوي لنا عدوا ولا يخون لدينا أمنا ....)) .

كما تعد خطبة طارق بن زياد المشهورة في فتح الأندلس أول خطبة قيلت في الأندلس .

إن خصائص النثر في هذه الفترة هي خصائص النثر الأموي بصورة عامة ، من ميل إلى الإيجاز ، دون مقدمات طويلة ، أو ألقاب عديدة ، ثم عناية بالعبارة المركزة ذات الأداء المباشر دون تلوين أو زخرف .

أما في عصر الإمارة المستقلة ، فقد اقتصر النثر أيضاً على أشكاله التقليدية ، كالخطب والرسائل والوصايا ، وكان أمراً طبيعياً في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الأندلس ، إذ تلائم حياة

الأندلسيين السياسية والاجتماعية والثقافية ، وكان المشرق هو المصدر الأول لاتجاهات تلك الأشكال الأدبية ، فكان لا يزال يحمل طابع الجزالة الخالصة ، بل قد يدخل الغريب أحياناً كمظهر من مظاهر تلك الجزالة ، وقد اعتمد على بعض الزخارف البديعية مثل : السجع ، والطباق ، والاقتباس ، وإن كان ذلك دون تكلف أو افتعال .

وقد عرف بعض الكتاب من هذه الفترة أمثال : فُطَيس بن عيسى ، وخطاب بن يزيد اللذين كانا كاتبين لهشام بن عبد الرحمن ثم لابنه الحكم ، ومثل : حجاج العُقيلي وكان كاتباً للحكم ، وكان بعض الأمراء كُتّاباً وخطباء ممتازين مثل : الأمير عبد الرحمن الداخل ، فمن أمثلة خطبه ما قال لأصحابه يحثهم على القتال : ((هذا اليوم هو أشد ما يبنى عليه ، إما ذل الدهر ، إما عز الدهر ، فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون ، تربحوا بها بقية أعماركم فيما تشتهون)) .

وكتب أيضاً إلى خارج عليه هذه الرسالة يقول فيها : ((أما بعد ، فدعني من معاريض المعاذير ، والتعسف عن جادة الطريق ، لتمدن يدا إلى الطاعة ، والاعتصام بحبل الجماعة ، أو لأزوين بنانها على رضف المعصية نكالا بما قدمت يداك ، وما الله بظلام للعبيد)) .

ومن أمثلة الوصايا ما وجهه الأمير الحكم إلى ابنه عبد الرحمن حين شعر بدنو أجله ، قال له : ((إني قد وطدت لك الدنيا وذللت الأعداء ، وأقمت أود الخلافة ، وأمنت عليك الخلاف والمنازعة ، فاجر على ما نهجت من الطريقة ، واعلم أن أولى الأمور بك وأوجبها عليك حفظ أهلك ، ثم عشيرتك ، ثم الذين يلونهم من مواليك وشيعتك ، فيهم أنزل ثقتك وإياهم واس من نقمتك)) .

وقبيل انتهاء هذا العهد وإعلان الخلافة تطور النثر تطوراً كبيراً ، ويتضح ذلك من كثرة الكُتّاب الذين حفظت أسماءهم كتب التاريخ والتراجم ، فكان من كتاب الأمير عبد الرحمن الأوسط : عبد الكريم بن عبد الواحد ، سفيان بن عبد ربه ، وعيسى بن شهيد ، وكان من كتاب الأمير عبد الله بن محمد : الزجالي ، وعبد الله بن محمد ، بن أبي عبده ، وموسى بن زياد .

وقد تأثر الكُتّاب بأسلوب عبد الحميد الكاتب الذي كان أول من أطال الرسائل وأكثر من التحميدات ، ثم بأسلوب الجاحظ الذي تميز بالميل إلى الجمل القصار ، وإجادة استعمال حروف الجر ، وأداء المعنى الواحد بعدة جمل قد تبدو في الظاهر تكرارا ولكنها تجسيم للمعنى وتفنن في إبرازه .

وكان الجاحظ أكثر شهرة ، فقد وصلت الأندلس بعض كتبه كرسالة ((التربيع والتدوير)) ، وكتاب ((البيان والتبيين)) ، وتتلمذ على أسلوبه الكثير من الأندلسيين .

فمن نماذج خطب هذه الفترة تلك الخطبة التي ألقاها الأمير عبد الرحمن الأوسط بعد دفن والده ، ويظهر فيها تأثير عبد الحميد الكاتب ، فهي ذات مقدمة مسهبة وتحميد مطنب ، قال :

((الحمد لله الذي جعل الموت حتما من قضائه ، وعزما من أمره ، وأجرى الأمور على مشيئته ، فاستأثر ورسوله وسلم تسليما ، وكان مصابنا بالإمام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ، مما جلت به المصيبة ، وعظمت به الرزية ، فعند الله نحتسبه وإياه نسأل إلهام الصبر ، وإليه نرغب في كمال الأجر والذخر ، وعهد إلينا فيكم بما فيه صلاحُ أحوالكم ، ولسنا ممن يخالف عهده ، بل لكم لدينا المزيد إن شاء الله)) .

ويظهر تأثير الجاحظ في رسالة بعث بها الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط إلى عبد الملك ابن أمية، وكان الأمير قد اختاره كاتباً له، ففيها تفنن في استخدام حروف الجر والاعتماد على الجمل القصار ، يقول :

((لقد فهمنا عنك ، ولم نأتِ ما أتيناه عن جهل بك ، لكن اصطناعا لك وعائدة عليك ، وقد أبحنا لك الاستعانة بأهل اليقظة من الكتاب فتخير منهم من تثق به ، وتعتمد عليه ، ونحن نعينك عل أمرك بتفقد كتبنا ، والإصلاح عليك ، إلى أن تركب الطريقة ، وتبصر الخدمة إن شاء الله تعالى)) .

وقد استمر النثر متأثراً بأسلوب الجاحظ طوال عهد الخلافة الأموية بالأندلس ، ومن الأسماء التي لمعت في هذه الفترة : ابن جهور ، وابن أبي عامر ، والمصحفي ، ومن نماذج هذه الفترة رسالة عبد الرحمن الثالث إلى حكام الأقاليم يخبرهم باتخاذ لقب خليفة ، يقول :

((بِسْمِ الله الرحمن الرحيم أما بعد : فإنا أحق من استوفى حقه ، وأجدر من استكمل حظه ، ولبس من كرامة الله ما ألبسه للذي فضلنا به ، وأظهر أثرتنا فيه ، ورفع سلطاننا إليه ، ويسر على أيدينا دركه ، وسهل بدولتنا مرامه ، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا وعلو أمرنا ، وأعلن من رجاء العالمين بنا ، وأعاد من انحرافهم إلينا ، واستبشارهم بدولتنا ، والحمد لله ولي الأنعام بما أنعم به ، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه)) .

2ـ النثر التأليفي :

ظهر هذا النوع من النثر خلال فترة الخلافة وتمثل ذلك في فرعين : تاريخ أدبي، وتأليف أدبي[1] .

الأول : مثل كتب الطبقات والتراجم مثل : كتاب (الحدائق) لأبي عمر أحمد بن فرج الجياني ، وأما الثاني : فهو ما يتناول الثقافة العربية الخالصة ، وأهم الكتب التي ظهرت من هذا النوع كتاب (العقد الفريد) للشاعر والأديب الأندلسي احمد بن عبد ربه .

وقد استمر النثر في الفترة التي لحقت انتهاء الخلافة الأموية في الأندلس متأثراً بالنثر المشرقي وخاصة بأسلوب ابن العميد، الذي يميل إلي الإطناب ويعتمد على المحسنات كالسجع، والجناس، والمقابلة، وتضمين الفقرات بالأمثال والشعر.

ويمثل ابن حزم (ولد سنة 384هـ وتوفي سنة 456هـ)أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد أدباء هذه الفترة وعلماءها المثقفين ، فقد وضع كثيراً من المؤلفات في فنون مختلفة ، ولو بقيت

[1] الفرق بينهما أن الأول تاريخ صَيغ بأسلوب أدبي ، بينما الثاني أدبي صرف وسيلةً وغايةً.

كلها لكان لها وحدها أكبر مكان في المكتبة الأندلسية ، ومن أهم كتبه في تاريخ الأديان كتاب (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ، وفي التاريخ (جمهرة انساب العرب) ، وفي كتابه (طوق الحمامة) .

كما نجد أبا مروان حيان بن خلف بن حيان (ولد سنة 377هـ وتوفي سنة 469هـ) واحداً من كبار كُتاب التاريخ عامة ، والتاريخ الأدبي خاصة في هذا العصر، ومن كتبه : (تاريخ فقهاء قرطبة) ولم يصل إلينا ، وكتاب (المقتبس) ويتناول تاريخ الأندلس من فتحها إلى زمانه ، وقد وصلت إلينا أجزاء منه .

وقد لقي النثر حظاً أوفى في العصور المتأخرة من التاريخ الأندلسي ، فقد ظهرت فيه إلى جانب الأشكال الأدبية المألوفة القصة الفلسفية مثل : (حي بن يقظان) لابن طفيل ، ورسالة (التوابع والزوابع) لابن شهيد.

من كل ذلك نلاحظ أن النثر الأندلسي يتبع خطى النثر المشرقي في أشكاله وخصائص أسلوبه ، وإن كانت موضوعاته مستمدة من طبيعة الحياة الأندلسية سياسية وثقافية وبيئية .



المناقشة

س1 :ـ كان النثر الأدبي في الأندلس خلال عصر الولاة مرتبطاً بظروف مرحلة الفتح. أوضح هذا القول ، ثم بين خصائص النثر الأدبي في هذه الفترة .

س2 : ما أنواع النثر في عصر الأمارة المستقلة ؟ ولم اقتصر على تلك الأنواع فقط ؟

س3 : قال عبد الرحمن الداخل : ((هذا اليوم هو أشد ما يبنى عليه إما ذل الدهر وإما عز الدهر فاصبروا فيما لا تشتهون ، تربحوا بقية أعماركم فيما تشتهون)) .

أـ من أي أنواع النثر الأدبي هذا النص ؟ وما الغرض منه ؟

ب ـ في النص بعض فنون البديع / . اذكرها وحدد مواضعها .

ج ـ اضبط هذا النص بالشكل ، ثم اشرحه شرحاً أدبياً يوضح معناه .

د ـ ارجع إلى رسالة عبد الرحمن الداخل إلى أحد الخارجين عليه واقرأها ، ثم استخرج منها ما يدل على خصائص النثر الأدبي في عصر الإمارة المستقلة .

س4 :ـ تأثر النثر الأدبي في عصر الخلافة بأسلوب كل من عبد الحميد الكاتب والجاحظ ، فما مظاهر هذا التأثر ؟ أوضح ذلك في ضوء النماذج السابقة .

س5 :ـ للنثر التأليفي نوعان ، اذكرهما مع بيان الفرق بينهما ، وما يتناوله كل منهما .

6ـ من أي نوعي النثر التأليفي الكتب التالية : طوق الحمامة ، الحدائق ، العقد الفريد ، المقتبس ، قصة حي بن يقظان ؟



نماذج من النثر الأندلسي

1ـ وصف بعوضة لابن شهيد

التعريف بالكاتب :

هو أبو عامر أحمد بن أبي مروان بن شهيد ، كاتب وشاعر ، ولد في قرطبة عام 382هـ ، وعاش طفولة ناعمة مترفة ، وتهيأت له أسباب العلم والثقافة ، وحين أصبح شابا كان على اتصال ببعض الخلفاء الأندلسيين ، ويقال إنه بلغ مرتبة الوزارة ، فكثر حساده حتى دخل السجن ، ولكن سرعان ما أفرج عنه بسبب التقلبات السياسية ، وقد مرض بالفالج في آخر حياته ، وتوفي عام 425هـ .

النص :

((البَعُوضَةُ مُلَيْكَةٌ ، لاَ جَيْشَ لَهَا سِوَاهَا ، تَحْقِرُهَا عَيْنُ مَنْ يَرَاهَا ، تَمْشِي إِلَى المِلِكِ بِنَدْبِهَا[1] ، وتضرب في بحبوحة[2] داره بطبلها ، تؤذيها بإقبالها ، وتعرفه بإراقة دمه مالها ، فتعجز كفه ، وترغم أنفه[3] ، وتضرِّجُ[4] خده ، وتفري لحمه وجلده . زمجرتها تسليمها ، ورمحها خرطومها ، تذلل صعبك إن كنت ذا قوة وعزم ، وتسفك دمك وإن كنت ذا حلف وعسكر ضخم ، تنقض العزائم وهي منقوضة ، وتعجز القوي ، وهي بعوضة ، ليرينا الله عجائب قدرته ، وضعفنا عن أضعف خليقته)) .

---

[1] الندب : أثر الجرح ، وهو –أيضا– بمعنى النداء .

[2] بحبوحة الدار : وسطها وتأتي بمعنى رغد العيش وسعته

[3] ترغم أنفه : تهينه وتذله قسرا.

[4] تضرج : تلطخ بالدم.

التعليق :

يصف ابن شهيد في هذا النص بعوضة ويبالغ في وصفها ، معتمدا على عنصر التفخيم والتهويل ، حتى لكأنه يصف حيوانا مفترسا ، أو غولا مرعبا ، فهي في نظره ملكة عظيمة الشأن ، تكون جيشا بمفردها ، مع احتقار الأعين لها ، لعله يشير هنا إلى قول الشاعر :

لا تَحْقِرَنَّ صغِيرًا في مُخَاصَمِةٍ إنَّ البَعُوضَـةَ تُـدْمِي مُقْلَـةَ الأسَـدِ

وهي كذلك فعلا ، إذ يجب الحذر منها وعدم الاستهانة بأمرها ؛ ولأنها لا تبالي بأي إنسان ، ملكا كان أو غيره - حيث تلحق به ألوانا من الأذى لا يستطيع دفعها أو الفكاك منها .

ويستمر ابن شهيد في سرد تلك الألوان إلى أن يصل إلى الغرض الذي من أجله وصف البعوضة ، ألا وهو التفكر في مخلوقات الله ومعرفة عجائب قدرته ، وبالمقابل معرفة هوان الإنسان وعجزه ، وضعفه عن أضعف تلك المخلوقات .

وقد لجأ ابن شهيد إلى الألفاظ الجزلة والتراكيب القوية ، والتي تتناسب مع تفخيمه شأن البعوضة وتهويل أمرها ، مما ساعده على إيصال فكرته في أحسن صورة ، كما استعان ابن شهيد ببعض الصور الموحية كتشبيهه البعوضة بالملكة ، وتشبيه صوتها بالزمجرة ، وخرطومها بالرمح ، إضافة إلى أنه صاغ أسلوبه بعبارات قصيرة ، التزم فيها السجع التزاماً كاملاً من أولها إلى آخرها .



المناقشة

س1 : جاء ذكر البعوضة في القرآن الكريم . اذكر الآية التي وردت فيها ، وبيِّن المراد من ذكر البعوضة فيها .

س2 : ما مكبر (مليكة) ؟ وماذا أفاد تصغيرها ؟

س3 : بم شبه ابن شهيد البعوضة ؟ وبم شبه خرطومها ؟ أوضح رأيك في التشبيهين .

س4 : صوَّر ابن شهيد ألواناً من الأذى تُلْحقها البعوضة بالإنسان . فما أهم تلك الألوان ؟

س5 : ما الفنُّ البديعي الغالب على النص ؟ وهل نجده عفويًّا أو متكلفًا ؟

س6 : ما غرض ابن شهيد من وصف البعوضة ؟



5ـ آدابُ مجالس العلمِ لابن حَزْم

التعريف بالكاتب :

ابن حزم هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري عالم الأندلس في عصره ،وأحد أئمة الإسلام ، ولد في قرطبة عام 384هـ، كان حافظاً عالماً بعلوم الدين ، مستنبطاً للأحكام ، متفنناً في علوم كثيرة . كما كان متواضعاً ذا فضائل جمة ، ومؤلفات كثيرة ، وهو إلى جانب ذلك أديب شاعر مشهود له بالجودة والإحسان ، وقد توفي عام 456هـ بعد حياة حافلة بالعلم والتأليف . وقد سبق ذكر بعض مؤلفاته.

النص:

((إذا حضرت مجلس العلم فلا يكن حضورك إلا حضور مستزيد علماً وأجراً ، لا حضور مستغن بما عندك ، طالبا عثرة تشيعها ، أو غريبة تشعنها ، فهذه أفعال أراذل الذين لا يفلحون في العلم أبدا ، فإذا حضرتها على هذه النية فجلوسك في منزلك أروح لبدنك ، وأكرم لخلقك ، وأسلم لدينك .

فإذا حضرتها كما ذكرنا فالتزم أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها وهي :

إما أن تسكت سكوت الجهال فتحصل على أجر النية في المشاهدة ، وعلى الثناء عليك بقلة الفضول ، وعلى كرم المجالسة ، ومودة من تجالس .

فإن لم تفعل ذلك فاسأل سؤال المتعلم ، فتحصل على هذه الأربع محاسن ، وعلى خامسة وهي استزادة العلم . وصفة سؤال المتعلم أن تسأل عما لا تدري ، لا عما تدري ، فإن السؤال عما تدريه سخف وقلة عقل .. فإن أجابك الذي سألت بما فيه كفاية لك فاقطع الكلام ، وإن لم يجبك بما فيه كفاية ، أو أجابك بما لم تفهم فقل له : لم أفهم ، واستزده ، فإن لم يزدك بيانا وسكت ،

أو أعاد عليك الكلام الأول ولا مزيد ، فامسك عنه ، وإلا حصلت على الشر والعداوة ، ولم تحصل على ما تريد من الزيادة .

والوجه الثالث أن تراجع مراجعة العالم ، وصفة ذلك أن تعارض جوابه بما ينقضه نقضا بينا ، فإن لم يكن ذلك عندك ، ولم يكن عندك إلا تكرار قولك ، أو المعارضة بما يراه خصمك معارضة فامسك ، فإنك لا تحصل بتكرار ذلك على أجر ذلك ، ولا على تعليم ، ولا على تعلم ، بل على الغيظ لك ولخصمك ، والعداوة التي ربما أدت إلى المضرات ، وإياك وسؤال المُعنت[1] ، ومراجعة المكابر ، الذي يطلب الغلبة بغير علم ، فهما خلقا سوء ، ودليلان على قلة الدين ، وكثرة الفضول ، وضعف العقل ، وقوة السخف ، وحسبنا الله ونعم الوكيل)) .

التعليق :

النصُّ الذي أمامنا مأخوذ من كتاب من كتب ابن حزم وهو بعنوان : ((الأخلاق والسير في مداواة النفوس)) ، وهو كما يبدو من العنوان يتناول الأمور التي فيها تهذيب للنفوس ، وإصلاح للأخلاق .

وهذه الوصية ذات أهمية كبرى لطلاب العلم ، ولا سيَّما طلاب المدارس في الوقت الحاضر إذ إنها ترسم لهم الطريق السليم الذي يجب أن يسلكوه في حضور مجالس العلم ، وفي التعامل مع معلميهم وأساتذتهم ، حتى يتسنى لهم الحصول على الخير الوفير والعلم النافع .

وهي وصية في غاية الصدق والتأثير ؛ لأنها صادرة عن عالم جليل أفنى عمره في تعليم الناس وإرشادهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، وإذاً فهي وليدة خبراتٍ وتجارب مرَّ بها ابن حزم في سنوات طويلة .

[1] المعنت : المعتد برأيه.

وأبرز ما يميز هذه الوصية الوضوح المشرق الذي اتسمت به ؛ لأن ابن حزم يهدف من ورائها إلى التعليم والتوجيه ، متسلسل الأفكار ، خالياً من الصعوبة والتعقيد والتكلف .



المناقشة

س1 : اكتب تعريفاً موجزاً بابن حزم ، مع ذكر أبرز مؤلفاته .

س2 : من أي كتب ابن حزم هذا النص ؟ وماذا يتناول هذا الكتاب ؟

س3 : ما النصيحة التي ابتدأ بها ابن حزم في توجيهه طلاب العلم ؟

س4 : لا يخلو طالب العلم ـ وهو في مجلس العلم ـ من ثلاث حالات . اذكرها إجمالا .

س5 : إذا أردت أن اسأل سؤالاً ؛ فما الآداب التي يجب أن أتحلى بها ؟

س6 : لماذا كانت هذه الوصية غاية في الصدق وقوة التأثير ؟ وما أبرز ما يتميز به أسلوبها ؟



علم المعاني

بعد أن تعرف الطالب على معنى الفصاحة والبلاغة وشروطهما و تعرف على علمي البيان و البديع ينبغي عليه أن يطلع على ثالث علوم البلاغة و هو علم "المعاني "، وهذا ملخص لأهم أبوابه:

علم المعاني: تعريفه: "هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال".

أبوابه: (الخبر والإنشاء، الحذف والذكر، التقديم والتأخير، القصر، الفصل والوصل، الإجاز والإطناب والمساواة).

تنبيه: سنكتفي بالتعريف ببابي (الخبر والإنشاء و أثر علم المعاني في بلاغة الكلام).

الخبر: تعريفه (هو ما يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب).

مثل : سافر زيد، علي مقيم.

فكلا الخبرين هنا يحتملان الصدق أو الكذب لذاتهما دون النظر إلى قائلهما.

أغراض الخبر الأصلية:

يلقى الخبر في الأصل لأحد غرضين إما للفائدة، إما للازم الفائدة، فإن كان المخاطب به ليس لديه علم مسبق بمضمونه فهو للفائدة :

كقولنا لمن لا علم له بنجاح زيد: نجح زيد ، أو زيد ناجح.

وأما إذا كان المخاطب عالما به فيكون إيراد الخبر عليه من باب بيان أن المتكلم عالم به أيضاً ويسمى هذا لازم الفائدة كقولنا:

لأحدهم: أنت حضرت أمسِ مبكراً.

وللخبر أغراض أخرى فرعية كالاسترحام ، وإظهار الضعف ، أو التحسر ، أو الفرح ، أو الحزن ، أو الفخر ، أو المدح ، أو غيرها ، وكلها تعرف بقرائن معنوية تفهم من صياغ الكلام.

أضرب الخبر:

للخبر ثلاثة أضرب: يلقى فيها على المخاطب بحسب حالته:

1- إن كان المخاطب خالي الذهن من حكم الخبر يلقى إليه من دون مؤكدات نحو قولنا: زيدٌ ناجحٌ ويسمى هذا الضرب ابتدائياً.

2- إن كان المخاطب مترددا في الحكم طالبا لمعرفته حسن توكيده له، نحو: إنّ زيدًا ناجحٌ ويسمى هذا الضرب طلبياً.

3- وإن المخاطب منكرا لحكم الخبر وجب التأكيد له بأكثر من مؤكد بحسب درجة إنكاره نحو: إنّ زيداً لناجحٌ، والله إنّ زيداً لناجحٌ. ويسمى هذا الضرب إنكارياً.

الإنشاء: تعريفه: ما لا يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب ؛ لأنه ليس لمدلول لفظه وجود خارج قبل النطق به يطابقه أو لا يطابقه، وذلك مثل قولنا في الأمر قم، في النهي لا تجلس، في الاستفهام أين زيد؟، وفي التمني ليتني أنجح، وفي النداء: يا محمد.

أنواع الإنشاء: الإنشاء: على نوعين طلبي وغير طلبي:

1- الإنشاء الطلبي ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب.

2- أما الإنشاء غير الطلبي فهو ما لا يستدعي مطلوباً وله صيغ كصيغ المدح والذم (نعم وبئس وحبذا ولاحبذا)، التعجب وله صيغتان (ما أفعله وأفعل به)، القسم بأحرف القسم الثلاثة (الباء والواو والتاء)، الرجاء بـــ(لعل وعسى وحري واخلولق)، وصيغ العقود

كـ(بعت واشتريت ووهبت وغيرها) ، وهذا النوع من الإنشاء ليس من مباحث علم المعاني ولا يدخل ضمن اهتمام البلاغيين.



أما الإنشاء الطلبي فميدانه علم المعاني؛ لذا قسم عند البلاغيين إلى خمسة أساليب هي:

1- أسلوب الأمر: وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء: مثل قوله تعالى ﴿يَيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ مج﴾ [مريم: 12].

و كقوله تعالى (كلوا و اشربوا حتى يتبن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)البقرة 187

2- أسلوب النهي وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وذلك نحو وقله تعالى ﴿قىقيكاكلكمكىكي﴾[الأعراف:85].

و قال تعالى (و لا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) لأنعام 152

3- أسلوب الاستفهام وهو طلب العلم بشيء وله أدوات كثيرة بحسب المستفهم عنه ومثاله: أعلي مسافر أم خالد؟ ، هل جاء صديقك؟، من فتح الباب؟

و كقوله تعالى (يقول الإنسان يومئذ أين المفر) القيامة

4- أسلوب التمني، مثل قول المهمل ليتني أنجح.

و كقوله تعالى :(يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون) القصص79

5- أسلوب النداء وهو طلب الإقبال بحرف من حروف النداء نائب مناب الفعل (أدعو) وذلك مثل يا زيدُ، أعليُّ، هيا طالبَ العلمِ اجتهدْ.

كقوله تعالى (أني لأظنك يا موسى مسحورا) الإسراء 101

خروج أساليب الانشاء الطلبي عن معناها الأصلي:

1- الأمر: قد يخرج لعدة معاني بلاغية تفهم من السياق وذلك مثل الدعاء في قوله تعالى:

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ١٩٣﴾[آل عمران] .

2- النهي: قد يخرج إلى عدة معان منها الالتماس كقولك لصديق: لاتبرحْ مكانك حتى أرجع إليك.

كقوله تعالى (و لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) الأعراف 156

3- التمني: قد تستعمل (هل أو لعل أو لو) بدلا عن (ليت)، وذلك كقول الشاعر:

أمنــــزلي مـــي ســــلامٌ علــيكما وهـل الأزمـن اللائـي مضـين رواجـعُ

6- النداء: قد يخرج لعدة معان منها التعجب كقولنا: يا لجمال الربيع!.

المناقشة

س1 : عرف كلاً من: علم المعاني، الخبر والإنشاء، الإنشاء الطلبي.

س2 : ما الأغراض الأصلية للخبر؟ مثل لما تقول.

س3 : للخبر ثلاثة أضرب يلقى فيها على المخاطب بحسب حالته، اذكر هذه الحالات مع التمثيل لكل ضرب بيان اسمه.

س4 : مثل لثلاثة أساليب إنشائية مختلفة خرجت عن معناها الأصلي، موضحاً كل معنى من هذه المعاني التي خرجت إليها.



أثر علم المعاني في بلاغة الكلام

عرفت فيما سبق أن **علم المعاني** هو : (العلم الذي يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال) ، و معنى هذا أن علم المعاني يرشدنا إلى اختيار التركيب اللغوي المناسب للموقف ، و نقصد بالموقف حال المتكلم و المتلقي ، و علم المعاني في إرشاده لذلك لا يخرج عما ر سماه علم النحو لصحة الكلام ، و لكنه يفرض علينا أن نقدم ركنا من أركان الجملة أو نأخره و نعرفه أو ننكره ، و نذكره أو نحذفه ، فعلم المعاني وثيق الصلة بعلم النحو من هذا الجانب ، لكن علم المعاني يتعدى ذلك إلى دراسات الأسرار البلاغية للتراكيب وأثر ذلك في جمال النص و قوة تأثيره و يمكنك أن ترى أثر التركيب في بلاغة الكلام ، حين تتأمل قوله تعالى في وصف ما حدث في الطوفان الذي أصاب قوم نوح: (و فجرنا الأرض عيونا).

فإنّ الكلمات : (فجرنا) ،(الأرض) ، (عيونا) بهذا التركيب تدل على صورة مهولة شديدة الوقع في النفس تبين كثرة المياه و غزارتها التي عمت الأرض كلها في ذلك الطوفان ، و قلت : تفجرت عيون الأرض أو على هذا النحو من التركيب لم يدل إلا على وجود عيون محددة من الماء في الأرض ن لا على أن المياه غمرت وجه الأرض كله ، و قس على ذلك قولك: اشتعال البيت نارا ، فهو أقوى في الدلالة على كثرة النار من قولك : اشتعلت النار في البيت .

والتعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية أمر دقيق الصنعة، لا يفطن إليه إلا الفصحاء وذوو الدراية بالمنطق السليم واقرأ قول الشاعر يتمدح بالغنى والكرم :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا   لكن يمر عليها وهو منطلق

تجد تعبيراً عن الدراهم دائمة الانطلاق لا تستقر في الكيس؛ لأنها توزع على المعوزين وأرباب الحاجات وكل ذلك يتحقق باستخدام الجملة الاسمية(وهو منطلق)، وفي قوله تعالى : "إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق" دلالة على حدوث التسبيح من الجبال آنا بعد آن، وقد تحقق ذلك باستخدام الجملة الفعلية (يسبحن).

وفي التقديم والتأخير أو الذكر والحذف ترتيب للألفاظ حسب ما هو مستقر في الأذهان من أفكار، ثم هو مراعاة لمقتضى الحال وإذا انتقلنا إلى ما هو القصر. وجدنا فيه فوائد جميلة، فهو طريق من طرق الإيجاز، ووسيلة إلى تمكين الكلام و تقريره في الذهن لدفع الأنكار أو الشك في أمر ما .

و في الإيجاز و الإطناب مسلك بلاغية دقيقة ،ومواطن يحسن فيها أحدها دون الآخر، وعلم المعاني يكشف لنا كل ذلك. ومما سبق يتبين لنا ما لعلم المعاني من أثر جلي في بلاغة الكلام، فهو من أهم علوم البلاغة شأناًوأبلغها أثراً.



المناقشة

س1 ما المقصود بتعريف أهل البلاغة لعلم المعاني بأنه : (العلم الذي يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال) ؟

س2 مثل لأثر التركيب في بلاغة الكلام ، مع توضيح ما تذكره من مثال .

س3 بين كيف يختلف التعبير بالجملة الاسمية عنه بالجملة الفعلية مع التمثيل لما تقول.



المصادر والمراجع

- ديوان بشار بن برد
- ديوان أبي العتاهية
- ديوان أبي تمام
- ديوان ابن الرومي
- ديوان ابن خفاجة
- التبيان في شرح الديوان للعكبري
- مقامات بديع الزمان الهمذاني
- مقامات الحريري
- نفح الطيب للمقري
- الأخلاق والسير في مداواة النفوس
- سلسلة كتب شوقي ضيف التالية:
- تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول
- تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الثاني
- تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والإمارات – الجزيرة العربية والعراق وإيران.
- تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والإمارات – بلاد الشام
- تاريخ الأدب العربي – في الأندلس
- بغية الإيضاح لعبد المتعال الصعيدي

- البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى الأمين
- علم المعاني لعبد العزيز عتيق
- شرح البلاغة لابن عثيمين



المحتويات